النظرات المائعة
في سورة الفاتحة

النظرات الماتعة

في سورة الفاتحة



تأليف

مرزوق بن هيّاس الزهراني

الأستاذ المشارك في كليّة الحديث

قسم علوم الحديث

دار الصفدي

مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الزهراني ، مرزوق بن هياس آل مرزوق.
النظرات الماتعة في سورة الفاتحة – المدينة المنورة
٨٨ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٣-٧٨٢ – ٣٩- ٩٩٦٠
١- القرآن – سورة الفاتحة – تفسير أ- العنوان
ديوي ٦ و ٢٧٧
رقم الإيداع ٢٢/٣٧١٧
ردمك : ٣-٧٨٢-٣٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م.

الناشر: دار الصفدي
دمشق شارع سعد الجابري – مقابل البريد العام
هـ ٢٢١٨٠١٦ فا ٢٢٣٥٤٤٤
رقم الإيداع : ٧٠٣٤٦ / ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر وأعن ياكريم

واهدنا الصراط المستقيم

٤ــ فهرس الموضوعات

الإهداء

إلى كل مؤمن ومؤمنة وكل مسلم ومسلمة في أرجاء المعمورة .

الذين آمنوا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، يعبدون الله ﷻ وفق ما جاء به رسوله ﷺ ، عقيدة وأحكاماً وسياسة وحكماً .

أقدم هذا الجهد، من خلال نظرات ماتعة، وتأملات واسعة في سورة الفاتحة، بغية أن يتسأملوا ما ورد فيها من الفهم النظري، ويعملوا ما تقرر من الجانب العملي، كيما يسعدوا في الدنيا والآخرة .

سائلاً الله عز وجل أن يجعل عملي له خالصاً، وسعيي فيه سعياً مشكوراً ، وأن يجعل خطئي مغفوراً ، ولا يحرمني ووالدي أجره يوم الدين ، ولا من أعان عليه ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [1].

المؤلف

(١) الآيتان (٨٨ ، ٨٩) من سورة الشعراء

منهج البحث

قبل تحديد خطوات البحث تجدر الإشارة إلى أنني سأقتصر في المنهج على ما يلي:

في توثيق المعلومات على (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين، فهو عمدة من جاء بعده، فالذين كتبوا التفسير بعد ابن جرير رحمه الله هم حول ما روى، أو دون بقلمه يدندنون، وعلى ما في تفسيره يعتمدون، ويليه في الأهمية الجامع لأحكام القرآن تفسير الإمام القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، فإنه أجاد استخراج المسائل فهو في نظري التفسير الثاني بعد (جامع البيان) وما دعت إليه الحاجة في قضايا محدودة فما كان في غيرهما من أمر يلزم تدوينه لأهميته في البحث، وتوثيق المعلومات، فلن أغفله وبمصدره أوصله.

لم أشتغل ببحث القضايا اللغوية، كاشتقاق الأسماء ، واختلاف القراءات ، ومعانيها، والأبلغ منها ، وأقوال العلماء ، واختلافهم في المسائل، من أجل عدم إشغال القارئ بأمور لا يدرك دقتها إلا المتخصص ، فراعيت حال القراء وما هم محتاجون إلى معرفته، أما الباحث الناقد المتخصص فله مراجعة المصادر وإمعان النظر فيما دونه الأئمة، من دقائق وملاحظات لغوية وبلاغية ومناقشات وردود على بعضهم في المسائل الخلافية.

خطة البحث

رأيت أن يكون البحث في مقدمة وإحدى وثلاثين نظرة علمية.

فالمقدمة فيها سبب اختيار البحث.

النظرة الأولى: سورة الفاتحة.

النظرة الثانية: لماذا تعددت أسماؤها.

النظرة الثالثة: نزول جبريل بالفاتحة.

النظرة الرابعة: مدنية أو مكية.

النظرة الخامسة: عدد آياتها.

النظرة السادسة: صلتها بالكتب السماوية.

النظرة السابعة: ما ورد في فضلها.

النظرة الثامنة: الفاتحة من خصائص النبي ﷺ وأمته.

النظرة التاسعة: الفاتحة تحاور بين العبد وربه.

النظرة العاشرة: الفاتحة شفاء.

النظرة الحادية عشرة: مقاصدها.

النظرة الثانية عشرة: وجوب قراءتها في كل ركعة.

النظرة الثالثة عشرة: جواز الزيادة على الفاتحة من القرآن.

النظرة الرابعة عشرة: سقوط قراءتها عن العاجز عن تعلمها وفهمها.

النظرة الخامسة عشرة: احتواء الفاتحة علوم القرآن.

النظرة السادسة عشرة: المنهج التربوي في الفاتحة.

النظرة السابعة عشرة: أقسام الناس على ضوء فهمهم للفاتحة.

النظرة الثامنة عشرة: حكم الاستعاذة.

النظرة التاسعة عشرة: تفسير الاستعاذة.

النظرة العشرون: تفسير الآية الأولى.

النظرة الحادية والعشرون: تفسير الآية الثانية.

النظرة الثانية والعشرون: تفسير الآية الثالثة.

النظرة الثالثة والعشرون: تفسير الآية الرابعة.

النظرة الرابعة والعشرون: تفسير الآية الخامسة.

النظرة الخامسة والعشرون: تفسير الآية السادسة.

النظرة السادسة والعشرون: تفسير الآية السابعة.

النظرة السابعة والعشرون: معنى [آمين].

النظرة الثامنة والعشرون: حكم قول [آمين].

النظرة التاسعة والعشرون: أهمية قول [آمين].

النظرة الثلاثون: الجهر [بآمين].

النظرة الحادية والثلاثون: كيف يصل المسلم إلى أعلى درجات التقرب

ثم الخاتمة والفهارس وهي:

فهرس الآيات، فهرس الأحاديث، فهرس الأبيات الشعرية، فهرس الموضوعات، فهرس المصادر.

مقدمة

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾ [1]

والصلاة والسلام على البشير النذير الذي جلب بإذن ربه لأمته الخير الكثير، وحذرها من الشر والتدمير ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمد ﷺ هما صراط الله المستقيم من اعتصم بهما نجا، ومن خالفهما هلك، يزداد كل مؤمن بهديهما بصيرة، ومن ابتعد عنهما زاد عماه وكثر تدميره.

وإن من فضل الله ﷻ على هذه الأمة أن جمعها على تلاوة قدر عظيم من كلامه في كل يوم سبع عشرة مرة تلاوة واجبة وذلك فيما فرض على عباده من الصلوات الخمس في اليوم والليلة.

إنها سورة الفاتحة السورة العظيمة المشتملة على معاني الخير والبركة، فكان لزاماً على كل مسلم أن يعلم ما فيها من الخير، فيستزيد من تلاوتها بإضافة ما حث عليه رسول الله ﷺ من المحافظة على السنن الراتبة مع الوتر المجموعة في ثلاث عشرة ركعة في اليوم والليلة، فإذا ما استوعب العابد فضلها ومناجاة ربه بها قام بها ماشاء الله من الليل، واستن بها في صلاة الضحى، وغير ذلك من القربات كتحية المسجد وركعتي الطواف، وصلاة الجنازة، وصلاة العيدين، إنها أم الكتاب تقود العبد إلى معرفة الثناء على الله عز وجل، وفضله على عباده، وتوحيده بأسمائه وصفاته في عبوديته والاستعاذة به، والاعتصام به بطلب الهداية والبعد عن الضلال وما يوجب غضبه، سبحانه وتعالى.

فها هي الفاتحة قليلة الألفاظ واسعة الدلالة، عظيمة المعاني، شافية كافية، رمت تقديمها لكل مسلم ومسلمة في أسلوب رصين يكشف عن بعض لطائفها وعظيم قدرها، وسعة دلالتها،

(١) الآية (١) من سورة الكهف.

إنها جنة كل مؤمن ومؤمنة، وهي نار حارقة لجميع العصاة ، إلا من تاب وآمن وعمل عمــلاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.

سبب اختيار البحث

لما قال الله ﷻ : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾[1] دل على أمر المؤمنين بقراءة الفاتحة على نحو ما سلف بيانه إن ذلك تطبيق عملي لما يجب أن يكون عليه وضع المسلمين تجاه كل آية من كتاب الله ﷻ ، فحبل الله هو كلامه الذي أنزله على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ لهذا شغفت بالكتابة عن هذا المثال الحي الذي اجتمع على العمل به كل من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدﷺ نبياً ورسولاً، وقد علم كل فرد منهم أن صلاته لا تقبل إلا بتلاوة هذه السورة العظيمة وتدبر ما فيها من الدلالة والخير، إلا من عذر يعفيه من ذلك، فكان هذا امراً باعثاً على جمع ما ورد فيها من المقاصد والدلالة، وبسطها لعباد الله الصالحين، هذا أولاً.

أما **الأمر الثاني:** فلأن الله ﷻ امتن بالفاتحة على عبده ورسوله نبينا محمدﷺ قال الله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾[2] فجعلها قسيمة لبقية السور، وكان الأمر كذلك لأنها جمعت أقسام القرآن وحوتها .

الأمر الثالث: إن معرفة معانيها ودلالاتها من العلم الضروري الذي يجب على كل مسلم أن يلم به كيما تصح صلاته وعقيدته ودعاؤه ، وثناؤه على ربهﷻ ، واستشفاؤه بهذه السورة العظيمة، المباركة والقرآن كله عظيم مبارك .

الأمر الرابع: إنها تدريب عملي على اجتماع المسلمين على الحق، ومن هذا المثال وجب عليهم أن يكونوا موحدين لله ﷻ بالعبادة ، فالفاتحة تدعوهم إلى رب واحد هو معبودهم لا معبود بحق سواه ، والذي جاء بها هو محمدﷺ فوجب أن يوحدوه في القدوة وفي الأتباع، وأن لا يخالفوا أمره ، ولا يتجاوزوا نهيهﷺ ولذلك قال تعالى: ﴿وما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو

(١) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران

(٢) الآية (٨٧) من سورة الحجر

(٣) الآية (٧) من سورة الحشر

يصيبهم عذاب أليم﴾ [1] وقال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [2]، والفاتحة حددت لهم المنهج العملي من خلال دلالاتها ومعانيها فوجب أن يكون منهجهم واحداً كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [3] وقال: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [4].

ومن البواعث على هذا البحث أنني طالعت ما كتبه حول الفاتحة بعض الفضلاء ، فألفيت أن الفاتحة لا زالت مشرعة أبوابها للمزيد من البحث والدراسة، ولا أدعي الكمال فيما قمت به من عمل ولكن قدمت بعض ما وقفت عليه من كلام أهل العلم، ورمت الاختصار، فتجنبت الغوص واكتفيت بالإبحار في لجج المعرفة والنصوص والأخبار، فاقتطفت ما تيسر من الثمار، وقدمتها للمسلمين من القارئين النظار، والسامعين الأخيار، رجاء أن ينتفعوا بها ويكونوا من الأبرار، بإذن الله الواحد القهار.

وهنا حان وقت الإبحار فنقول: ﴿ بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [5]

المؤلف

---

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٤٤) من سورة المائدة، وفي التي بعدها (الظالمون) وفي (٤٧) الفاسقون .

(٥) الآية (٤١) من سورة هود .

النظرة الأولى

حول سورة الفاتحة

الفاتحة مستهل كتاب الله العزيز، أنزلت بمكة على القول الراجح، عظم الله شأنها، وخص بها نبيه ورسوله محمدا ﷺ وأمته، أوجز فيها ما فصله في القرآن العظيم، آياتها سبع، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة وعشرون حرفا(1)، تضمنت جميع علوم القرآن الكريم(2) أسماؤها كثيرة، ذكر الفيروز آبادي أنها قريبة من ثلاثين(3) وقال القرطبي: إثنتان وعشرون(4)، وقال الألوسي: لهذه السورة الكريمة أسماء، أوصلها البعض إلى نيف وعشرين(5).

النظرة الثانية

لماذا تعددت أسماء الفاتحة

تنوعت أسماء الفاتحة بحسب تنوع ما فيها من الدلالة، وما فيها من الفضل، وما اشتملت عليه من المقاصد، وما فيها من البركة والخير، وبيان ذلك على النحو التالي:

سميت الفاتحة : لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن، في الكتابة والقراءة(6)

---

(1) وللعلم فأن الفاتحة لا تشمل سبعة أحرف وهي (ث،ج،خ،ز،ش،ظ،ف) أنظر (روح المعاني ٣٦/١).

(2) انظر : (الجامع لأحكام القرآن ١١٠/١).

(3) انظر : (بصائر ذوي التمييز ١٢٨/١).

(4) انظر : (الجامع لأحكام القرآن ١١١/١).

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٤/١).

(6) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١٠٧/١ ــ ١٠٩) ــ أنظر: (تفسير الفاتحة والبقرة للسمعاني ٣٥١/١ــ٣٥٣) ومعالم التنـزيل (٣٧/١) وغيرها من التفاسير التي ارتكزت على ما عند إمام المفسرين الطبري.

سميت أم القرآن : لتقدمها على سائر سور القرآن ، في القراءة والكتابة [1]، وهي أم الكتاب لأن أم الشيء: أصله وعماده كما سميت مكة، أم القرى لأنها توسطت الأرض[2]، وهذا ليس زعماً، فقد ثبت علمياً في عصرنا هذا ، والفاتحة لاشك أنها أم الكتاب [القرآن] لأنها جمعت ما فصل فيه، وقد ثبت في الصحاح تسميتها بذلك[3] ونقل القرطبي كراهة ذلك عن أنس والحسن وابن سيرين، والجمهور على الجواز، وإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ فلا عبرة بقول غيره[4].

سميت السبع المثاني : لأن جميع القراء والعلماء لم يختلفوا على أنها سبع آيات، ولكونها المثاني التي امتن الله ﷻ بها على عبده ورسوله محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾[5] كما فسرها الإمام الحسن البصري رحمه الله بذلك .

ووصف رسول الله ﷺ آياتها السبع بأنهن مثان، فلأنها تثنى قراءتها في كل صلاة تطوعاً أو مكتوبة[6]. وعلل مجاهد رحمه الله هذه التسمية: بأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة، كأنه أوحاها لهم و لم يعطها أحدا من الأمم[7]، ومعلوم أن هذه السورة العظيمة تثنى قراءتها في كل ركعة وتثنى في كل صلاة فالتثنية مضاعفة، قال أبو جعفر الطبري: وليس في وجوب إسم [السبع المثاني] لفاتحة الكتاب ما يدفع صحة وجوب اسم [المثاني] للقرآن كله، لأن لكل

---

(١) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١٠٧/١).

(٢) ترتيب القاموس (١٧٩/١).

(٣) انظر صحيح مسلم (٢٩٦/١ رقم ٣٩ــ ٤١) ، وروح المعاني في تأويل القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٥/١).

(٤) أنظر: (الجامع لأحكام القرآن ١١١/١).

(٥) الأية (٨٧) من سورة الحجر ، وانظر جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١٠٩/١) منه حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ص٩٨٥ رقم ٤٧٠٤)، وأخرجه الطبري بسند صحيح (جامع البيان ١٠٧/١).

(٦) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١٠٩/١).

(٧) تفسير الفاتحة والبقرة للسمعاني (٣٥٣/١) ،وانظر : (الكشاف ١ /٤).

وجها ومعنى مفهوماً[1] قلت كقوله تعالى:﴿كتاباً متشابها مثاني﴾[2] أطلق الله ﷻ هذا على كتابه، لأن الأخبار تثنى فيه[3].

سميت الوافية : لأنها لا تتنصف ، فلا يجوز أن يقرأ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة أخرى ، وهذه خصوصية الفاتحة فهي لا تقبل التنصيف ولا الاختزال بخلاف بقية سور القرآن فإن ذلك جائز فيها[4]. سميت الكنز لقوله ﷺ: [إنها أنزلت من كنز تحت العرش][5]. ويدخل في مسمى [أم الكتاب، أم القرآن] قول من سماها [الأساس] جاء ذلك من قول الشعبي رحمه الله لما شكا إليه رجل وجعا بخاصرته: عليك بأساس القرآن، فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس، وأساس الدنيا مكة لأن منها دحيت[6] وأساس السموات [عريبا] وهي السماء السابعة وأساس الأرض [عجيبا] وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان [جنة عدن] وهي سرة الجنان عليها أسست الجنة، وأساس النار [جهنم] وهي الدركة السابعة السفلى، عليها أسست الدرجات، وأساس الخلق [آدم]، وأساس الأنبياء [نوح]، وأساس بني اسرائيل [يعقوب]، وأساس الكتب [القرآن]، وأساس القرآن [الفاتحة]، وأساس الفاتحة [بسم الله الرحمن الرحيم]. فإذا اعتللت أو اشتكيت، فعليك

---

(١) جامع البيان (١١٠/١) باختصار.

(٢) الآية (٢٣) من سورة الزمر.

(٣) انظر : (الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١).

(٤) قاله سفيان بن عيينة في تفسيره ، نقل عنه القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/١) والحديث أخرجه إسحاق بن راهوية ــ كما في الدر المنثور (١٦/١) ــ عن علي ﷺ وعزاه المتقي في الكنز (٢٩٧/٢) رقم (٤٠٥٠) إلى إسحاق والواحدي، وقد أورد البوصيري إسناد إسحاق في إتحاف الخيرة (٥/١) وفيه انقطاع بين فضيل بن عمرو وعلي ﷺ، وله شواهد تقوية، عن أبي أمامة وأنس وعلي ومعقل بن يسار ﷺ. (موسوعة فضائل سور آيات القرآن ٢٤/١ ــ ٦٢).

(٦) وها نحن نسمع اليوم من علماء الجغرافية والمساحات : أن الكعبة هي نقطة الارتكاز لدائرة الأرض (الكعبة مركز العالم ص ٢٠٤).

بالفاتحة تشفى[1] وذكره السيوطي مختصراً فقال: وأخرج الثعلبي عن الشعبي أن رجلاً شكا إليه وجع الخاصرة[2] فقال: عليك بأساس القرآن، قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب [3].

الحق أنها رقية كلها، خلافاً لمن قصرها على قوله تعالى:﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾.

سميت سورة الحمد والشكر والدعاء ، وتعليم المسألة : لاشتمالها عليها[4] وقد تضمنت معاني هذه الألفاظ أفضل ما يكون به الثناء ، وأصدق ما يكون الطلب.

سميت الصلاة : لوجوب قراءتها فيها [5]. أما قول الزمخشري: لأنها تكون فاضلة أو مجزئة فيها[6] فأقول: هي فاضلة في الصلاة وغيرها، والصواب ما تقدم، لأنها ركن في الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا بقراءتها، قال ﷺ: [لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب][7] وفي القدسي: [قسمت الصلاة بيني وبين عبدي][8]، والمراد بالصلاة الفاتحة، عندما يقرؤها العبد في الصلاة وغيرها.

---

(١) لم يجزم الفعل لأن الطلب جاء باسم الفعل (عليك) وشرط جزم جواب الطلب أن يكون الطلب بالفعل ، وأنظر : (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٣).

(٢) الخاصرتان : جانبا البطن مما يلي الظهر ، قال ابن الأثير : قيل : إنه وجع الكليتين (النهاية ٢/٣٧) .

(٣) الدر المنثور (١/١٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/٩) ، وأنظر : روح المعاني (١/٣٥).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/٩) ولأن الله سماها صلاة في الحديث القدسي.

(٦) الكشاف (١/٤).

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة (ص ١٥١ رقم ٧٥٦) .

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة (١/٢٩٦، ح ٣٩٥) كتاب الصلاة : باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، والإمام أحمد في مسنده (٢/٢٥٠ — ٤٨٧ — ٤٦٠) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً به .

سميت الشفاء والشافية : لقول الرسول ﷺ : [هي شفاء من كل داء] [1].

سميت القرآن العظيم : ذكره القرطبي وعلله بقوله: لتضمنها جميع علوم القرآن[2] وفي نظري أن تستمد هذه التسمية من حديث أبي سعيد بن المعلى عند الإمام البخاري، اخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى‌ﷺ قال: مربي النبي ﷺ وانا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، فقال: [ما منعك أن تأتي؟] فقلت: كنت أصلي، فقال: [ألم يقل الله﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ [3]؟ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته فقال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني[4] والقرآن العظيم الذي أوتيته][5] أي في الآية ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [6] وجعلها قسيمة للقرآن يكون أبلغ في الامتنان، وإن كان الامتنان حاصلاً بها وحدها لاشتمالها على ما ذكر، فكأن الله ﷻ امتن بها من جانب لخصائصها، وبقية القرآن لما فيه من العظمة والخير والبركة والإعجاز، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده المعروف بالسنن (٢/٣٢٠) مرسلا من حديث عبد الملك بن عمير، ويمكن أن يكون سمعه من أبي سعيد الخدري، فقد نظرنا في التاريخ وفيه إمكان السماع، لكن تكلم فيه الأئمة ، ولا أرى رتبته إلا أقل مما قدر له الحافظ في التقريب فإنه قال: " ثقة " وجاء في تفسير القرطبي قوله : " روى الدارمى عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم)، قلت: الذي عند الدارمى (من كل داء) واللفظ المذكور هو حديث أبي سعيد الخدري كما في شعب الإيمان للبيهقي (٢/٤٥٠) ، (الجامع لأحكام القرآن ـــ ١/١١٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٢).

(٣) الآية (٢٤) من سورة الأنفال ، ومن هذا يستفاد وجوب الاستجابة لنداء رسول الله ﷺ في حياته ، وقطع ما يعوق الإجابة ولو كان العائق عبادة ، وبعد موته ﷺ تكون الاستجابة لأمره ونهيه .

(٤) انظر الآية (٧٨) من سورة الحجر.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ص ٩٢١ـــ رقم ٤٤٧٤/ص٩٨٤ـــ رقم ٤٧٠٣).

(٦) سورة الحجر آية (٨٧).

سميت **الرقية** : لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رقى سيد الحي: [وما يدرك أنها رقية ؟][1].

سميت **الكافية** : لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها قال رسول الله ﷺ:[أم القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها منها عوضا][2] ألا ترى أنك إذا لم تقرا في الصلاة إلا الفاتحة أجزأ ذلك وصحت الصلاة، ولو تركت الفاتحة وقرأت بدلاً عنها سورة من المطول لم يجز ذلك و لم تكن الصلاة صحيحة، ولا تعارض بينه وبين حديث المسيء صلاته، فإن قوله ﷺ: [وأقرأ ما تيسر معك من القرآن] مفسر بأن المراد به مازاد عن الفاتحة بدليل الروايات التي أوجبت قراءة الفاتحة.

النظرة الثالثة

نزول جبريل عليه السلام بالفاتحة

الصحيح أن الفاتحة نزل بها جبريل عليه السلام إستناداً إلى قول الله عز وجل:﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[3] وقد أجمع العلماء على ان

---

(١) ذكر القرطبي من أسمائها الرقية وهي داخلة في أسم الشافية، وقد ثبتت الرقية بها من حديث ابي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رقى بها سيد الحي: (ما أدراك أنها رقية ؟) استفهام تقرير، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ص٤٤٧ رقم ٢٢٧٦) وانظر أطرافه هناك، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١) والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٣٨/١) وقال رواة هذا الحديث أكثرهم أئمة وكلهم ثقات ، هذا رأي الحاكم كما أسند الحافظ بن حجر في لسان الميزان عنه أنه قال:محمد بن خلاد الاسكندراني ثقة، وكذلك وثقة العجلي (تاريخ الثقات ٤٠٣) وذكره بن حبان (الثقات ٨٥/٩) قال ابن حجر:قلت / انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا اللسان ١٥٦/٥). وقد أعل الدار قطني هذا الحديث بتفرد محمد بن خلاد به عن أشهب عن ابن عيينة (انظر الاتحاف ٤٢٩/٦). وقال ابن حجر: وقول الذهبي لايدري من هو، مع من روى عنه من الأئمة ووثقه من الحفاظ عجيب، وما أعرف للمؤلف سلف في ذكره في الضعفاء ...ثم قال: هذا اللفظ تفرد به زياد بن أيوب ــ وهو ثقة ــ عن ابن عيينة والمحفوظ من رواية الحفاظ عن ابن عيينة (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، ثم قال : والظاهر أن رواية كل من زياد بن أيوب وأشهب منقولة بالمعنى، والله أعلم (لسان الميزان ١٥٦/٥). قلت: وهو كذلك والأمر واضح للناظر.

(٣) الآيات (١٩٣ــ١٩٥) من سورة الشعراء .

المراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام، والقراءتان لقوله: [نزل] بالتخفيف أو بتشديد الزاي صحيحتان و لا يحصل الخلاف إطلاقاً في أن ذلك من عند الله ﷻ على الوجهين المذكورين في [نزل][1] ومن فهم من العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بسورة الحمد إستناداً إلى حديث ابن عباس ﷺ قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً[2] من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، و لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة[3]، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[4]، من فهم من هذا عدم نزول جبريل بالفاتحة فقد أخطأ، لأن نزول سورة الفاتحة كان بمكة لآية الشعراء وهي مكية صريحة في نزول جبريل عليه السلام بجميع القرآن. قال القرطبي: فيكون جبريل نزل بتلاوتها بمكة، ونزل الملك بثوابها بالمدينة، فإنه جمع بين القرآن والسنة، ولله الحمد والمنة [5].

قلت: وانقدح في ذهني وجه آخر، وهو أن يكون جبريل عليه السلام نزل بها تلاوة وبخواتيم البقرة أيضاً، ونزل الملك بالبشارة بنوريهما وانهما أعطيتا لنبينا محمد ﷺ دون الأنبياء، فيحصل الجمع الذي ذكره القرطبي رحمه الله من وجه آخر، وقد سمعت شيخنا أبو بكر الجزائري عظم الله أجره يقول: نزلت الفاتحة مرتين: مرة بمكة وآياتها سبع، بسم الله الرحمن الرحيم الآية الأولى ونزلت مرة أخرى في المدينة، ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) انظر : (جامع البيان ٦٨/١٩) .

(٢) قال في الصحاح (٦٠٣/٢) : النقيض : صوت المحامل والرحال ، وانظر (النهاية ١٠٧/٥)

(٣) المراد الآيات من قوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ...) الآيات إلى آخر السورة

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥٤/١ رقم ٢٥٤) ، وانظر: (تفسير ابن عطية ١٤/١) ، وعنه نقل القرطبي في : (الجامع لأحكام القرآن ١١٦/١) وسيأتي في ص٢١ ، والذي وقفت عليه عند ابن عطية (أتلو هذا القرآن فإن الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات...) أخرجه الدارمي (٣٠٨/٢) موقوفا على ابن مسعود ﷺ بلفظ (تعلموا هذا القرآن وأخرجه الترمذي (١٧٥/٥) مرفوعاً بلفظ (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ،والحسنة بعشر أمثالها ...) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وذكره المنذري في الترغيب (٣٤٢/٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١) .

قلت : ما ذكر فضيلته فيه نظر: فلم تنـزل السورة مرتين، بل نزلت تلاوة مرة واحـدة في مكة، ونزل في المدينة البشارة بالنورين الذين أو تيهما رسول الله ﷺ و لم أقف على ما يؤيد قول شيخنا هذا، أثابه الله.

النظرة الرابعة

مكيـة أو مدنيـة ..؟

الصحيح من أقوال العلماء(١) أن سورة الفاتحة مكية، إستناداً إلى قوله تعالى:﴿ولقـد آتينـاك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾(٢) فقد من الله ﷻ على رسوله محمدﷺ والآية مـن سـورة الحجر، وهي مكية، فلم يكن الله ﷻ بمن بها قبل نزولها(٣) ولأن فرض الصلاة كان بمكـة في ليلة الإسراء(٤) ولا خلاف في ذلك بين العلماء(٥) ومعلوم أن من أركان الصلاة قراءة الفاتحـة، ولا صلاة صحيحة بدونها، لقوله ﷺ:[لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب](٦).

---

(١) لهم ثلاثة أقوال في هذا ١ـ أنها نزلت بمكلة وهو قول الجمهور ، ٢ـ أنها نزلت في المدينة ، ٣ـ أنها نزلت مرتـين ، مرة في مكة ومرة في المدينة تعظيماً لشأنها أنظر (الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن ص٢٢).

(٢) الآية (٨٧) من سورة الحجر.

(٣) معالم التنـزيل (٣٧/١).

(٤) انظر (صحيح البخاري ص ٧٦) كتاب الصلاة ،باب (١) حديث (٣٤٩).

(٥) انظر : (الجامع لأحكام القرآن ١١٥/١) .

(٦)أخرجه مسلم من حديث عبادة (٢٩٥/١ـ رقم ٣٤) .

قال الألوسي رحمه الله: ذكر بعض العلماء، أن الفاتحة بإجماع علماء كل أمة افتتح كل كتاب بها، لكنه معارض بأن العربية من خصوصيات القرآن، ولا يمنع أن تكون معانيها موجودة في الكتب الأخرى، فالكتب السماوية بأسرها غير عربية .[1]

النظرة السابعة

ما ورد في فضلها

أخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: مربي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، فقال: [ما منعك أن تأتي ؟] فقلت: كنت أصلي، فقال: [ألم يقل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾؟ [2] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكّرته فقال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني[3] والقرآن العظيم الذي أوتيته][4].

وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة، عن أبي بن [مالك][5] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:[ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ؟ قلت: بلى. قال: إني لأرجو ألا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها][6] فذكر الحديث.

وأخرج النسائي بسند رجاله ثقات من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: [كان النبي ﷺ في مسيرة فنزل، فمشى رجل من أصحابه إلى جانبه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: ألا أخبرك

---

(١) في تفسيره (روح المعاني ١/٣٩).

(٢) الآية (٢٤) من سورة الأنفال .

(٣) أنظر الآية (٨٧) من سورة الحجر

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ص٩٢١-رقم ٤٤٧٤/ص٩٨٤-٤٧٠٣).

(٥) هذا تحريف ، والصواب : أبي بن كعب ﷺ، لأن أبي بن مالك ليس له إلا حديث واحد في بر الوالدين ، الإتحاف ٢٦٣/١ــ ٢٦٧ ، وشعب الإيمان ٢٨٤/٥

(٦) شعب الإيمان (٢٨٤/٥ ــ رقم ٢١٣٩)

بأفضل القرآن؟ قال: فتلا عليه، الحمد لله رب العالمين][1] وكذلك حديث عبد الله بن جابر ﷺ ، وفيه: أن رسول الله ﷺ قال له: [يا عبد الله بن جابر، ألا أخبرك بخير سورة نزلت في القرآن؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله ، قال: فاتحة الكتاب][2] وذكر البيهقي رحمه الله اختلاف الرواة في هذه الرواية ثم قال: فيشبه أن يكون هذا القول صدر من جهة صاحب الشرع ﷺ لأبي، ولأبي سعيد بن المعلى كليهما، وحديث ابن المعلى رجاله أحفظ ، والله أعلم[3].

قلت: ولذلك أخرجه الإمام البخاري وهذا يؤكد دقة الإمام البخاري وعلمه بعلل الأحاديث وضبط الرجال لما يروون. وذكر البيهقي رحمه الله اختلاف الرواة في هذه الرواية ثم قال: فيشبه أن يكون هذا القول صدر من جهة صاحب الشرع ﷺ لأبي ولأبي سعيد بن المعلى كليهما، وحديث ابن المعلى رجاله أحفظ، والله أعلم[4]،وهذا لا يمنع إخباره ﷺ لأكثر من واحد من أصحابه[5].

النظرة الثامنة

الفاتحة من خصائص النبي ﷺ وأمته

خص الله عز وجل نبينا محمد ﷺ وأمته بسورة الفاتحة، لم يعطها أحداً من الأنبياء قبله، فليحرص المسلم على تجويدها وفهم معانيها.

---

(١) السنن الكبرى (١١/٥) كتاب فضائل القرآن ، باب (١٦) رقم (٨٠١١/٢) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٠/٢-رقم٢١٤٤)بسند رجاله ثقات .

(٢) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان ٣٠٥/٥ــ ٣٠٦ رقم ٢١٥٢) .

(٣) شعب الأيمان (٢٨٥/٥ــ ٢٨٧) .

(٤) شعب الأيمان (٢٨٥/٥ــ ٢٨٧) .

(٥) انظرا (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢١٧/٢٠ ــ ٢٢٠)

النظرة الخامسة

عدد آيـــاتـــها

أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات، ولم يخالف فيه إلا مـــن لا عـــبرة بقولـــه، لشذوذه[١]، قال الطبري: وقد اتفق القراء والعلماء على أنها سبع آيات وحصل الخـــلاف في الآية التي صارت بها سبع آيات فقال جماعة من الأصحاب والتابعين وعُظْم[٢] أهل الكوفـــة: هي [بسم الله الرحمن الرحيم] وقال عُظْم قراة [٣] أهل المدينة ومتقنيـــهم: هـــي [أنعمـــت عليهم][٤]، قال الخطابي: قال قوم هي آية من فاتحة الكتاب، وهو قـــول أبـــن عبـــاس وأبي هريرة، وسعيد بن جبير وعطاء، وابن المبارك والشافعي وأحمد، وإسحاق وأبي عبيد، وقـــال آخرون: ليست التسمية من فاتحة الكتاب ....[٥] ونقل ابن كثير رواية ابن مردويه بسنده من حديث أبـــي هريـــرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [الحمد لله رب العالمين ســـبع آيـــات [بسم الله الرحمن الرحيم] إحداها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهـــي أم الكتـــاب وفاتحة الكتاب][٦] قال ابن كثير رحمه الله: رواه الدار قطني[٧] أيضاً عن أبي هريرة، مرفوعـــاً بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات وهذا رأي ابن عباس ﷺ[٨] وقد آلف في وجـــوب قـــراءة البسملة في الصلاة الإمام أبو الفتح سليم بن أيـــوب الرازي كتاباً سماه [الرسالة المقنعـــة في وجوب قراءة البسملة في الصلاة] وآلف أبـــو شامة المقدسي [البســـملة الكبـــير] في مجلـــد و[البسملة الصغير].

---

(١) أنظر : (الجامع لأحكام القرآن١/١١٤).

(٢) بضم العين : وعظم الشيء ، أو الناس : معظمهم وأكثرهم .

(٣) بالتخفيف : جمع قارئ .

(٤) جامع البيان (١/١٠٩) .

(٥) معالم السنن مع سنن أبي داود ١/٥١٣ .

(٦) انظر : (تفسير القرآن العظيم ١/٢٢ـــ وأنوار التنـــزيل ١/٥) .

(٧) سنن الدار قطني ١/٣١٢رقم ٣٦.

(٨) تفسير القرآن العظيم (١/٢٢).

وقد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا آمين، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها[1] فليعلم أن البسملة آية من الفاتحة وهو قول الجمهور و﴿صراط الذين أنعمت عليهم ....] إلى آخر السورة آية واحدة ، هي الآية السابعة.

النظرة السادسة

صلتها بالكتب السماوية

أخرج البيهقي عن الحسن البصري أرسله قال:[أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء ، أودع علومها أربعة منها: التوراة، الإنجيل، والزبور، والقرآن ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور[القرآن]ثم أودع علوم القرآن[المفصل] ثم أودع علوم المفصل [فاتحة الكتاب] فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة[2].

قلت : في إسناده الربيع بن صبيح السعدي، صدوق سيء الحفظ، ومال الذهبي[3] إلى أنه صدوق، ونقل تضعيف النسائي له، وفيه إرسال الحسن، والحسن مرسلاته تكلم فيها العلماء، حتى قال بعضهم: مرسلات الحسن كالريح، أي لا يعتد بها، وقد ذكر هذا الأثر السيوطي[4] معزواً إلى البيهقي في شعب الإيمان[5] وعزا السيوطي إلى أبي عبيد في فضائله عن الحسن مرسلا قوله: قال رسول الله ﷺ:[من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان][6].

(١) انظر : (الكشاف ١/٤)، ومصحف المدينة النبوية .
(٢) في شعب الإيمان (٥/٣٠٨، رقم ٢١٥٥) .
(٣) في الكاشف (١/٣٠٤)
(٤) في تفسيره (١/١٦)
(٥) ٥/٣٠٨
(٦) فضائل القرآن ٢/٢٥ والدر المنثور (١/١٦) .

أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس ﷺ قال: [بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ ، سمع نقيضاً من فوقه، رفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته](1) وفي هذا دلالة صريحة على اختصاص نبينا محمد ﷺ وأمته بالفاتحة، ومن خص بشيء زاد حرصه عليه، لاختصاصه به لنفاسته دون سواه ، فليعتن المسلم بسورة الفاتحة، فهما لدلالاتها وتجويدا لتلاوتها.

النظرة التاسعة

الفاتحة تحاور بين العبد وربه

ما أعظم مناجاة العبد لربه ﷻ واستشعاره محاورته لمولاه جل وعلا من خلال فاتحة الكتاب، هنا يدرك العبد لذة المناجاة حينما يحزبه أمر فيلجأ إلى خالقه وباريه، يطلب منه اللطف والرحمة والعفو والمغفرة هكذا كان يفعل سيد الخلقﷺ إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة(2) وإذا حان وقت الفريضة قال:[يا بلال أرحنا بالصلاة](3).

أخرج الإمام مسلم حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: سمعت الرسول ﷺ يقول: [قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي

(١) في صحيحه (١/٥٥٤ـ رقم ٢٥٤) تقدم الحديث ص١٦ .

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه (٢/٧٨ـ رقم ١٣١٩) من حديث حذيفة (كان النبي ﷺ إذا حز به أمر صلى) ، ويشهد له الذي بعده وأخرجه أحمد في مسنده (٥/٣٨٨) هذا قول حذيفة وفي سنده محمد بن عبد الله الدؤلي مقبول .

(٣) أخرجه الطبراني (٦/٣٤٠) من حديث صحابي من أسلم ، قال الهيثمي في المجمع (١/١٤٥) : فيه أبو حمزة الثمالي ضعيف واهي الحديث، وأخرجه أبوداود (٥/٢٦٢) والإمام أحمد في المسند (٥/٣٦٤،٣٧١) وفي إتحاف السادة المتقين (٣/١٣٧) قال: إسناده صحيح .

عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: [فوض إلي عبدي]. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل][1].

النظرة العاشرة

الفاتحة شفاء وأخذ الأجرة على الرقية بها جائز

ما أكثر ما يعتل الإنسان روحاً وجسداً وقد أخبر البارى ﷻ أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين[2] وثبت النقل عن الرسول ﷺ أن الفاتحة يستشفى بها فليكن المسلم موقنا بذلك وليحرص على الاستشفاء بالقرآن وأوله الفاتحة وليحذر كل الحذر مجانبة المنهج النبوي في ذلك.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم: هل فيكم راق ؟ ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه [بفاتحة الكتاب]فبرأ الرجل، فأعطي قطيعا من غنم فأبى ان يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم ﷺ وقال:[وما أدراك أنها رقية ؟! ثم قال: خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم][3]

---

(١) في صحيحه (١/٢٩٦رقم ٣٩) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٩٢ـ رقم ٢١٤٦) وأطال المحقق في تخريجه فليعد إليه الراغب.

(٢) قال الله تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء ، آية رقم (٨٢) .

(٣) في صحيحه (٤/١٧٢٧رقم ٦٥) ويستفاد من هذا وجوب تحري الحلال ، والبعد عن الشبهات والمحرمات في المكاسب.

وأخرجـــه الإمام البخاري بزيادة: [فجعل يقرأ بأم القرآن ، ويجمع ريقه ويتفـــل فـــبرأ][1] وهذه الزيادة عند مسلم، وذكرت رواية مسلم أولاً لورود القصة فيها بأتم.

أخرج البيهقي بسنده من حديث عبد الله بن جابرﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبول فوقفـــت عليه فقلت: السلام عليك ، فلم يرد علي، ثم قلت السلام عليك يا رسول الله، فلـــم يـــرد علي، ثم قلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي. قال ونهض ودخل بعـــض حجـــره، قال: فملت إلى اسطوانة في المسجد وأنا كئيب حزين، فبينا أنا كذلك إذ خرج رســـول الله ﷺ فتوضأ، قال: فأقبل حتى وقف عليَّ ثم قال: [وعليك السلام ورحمة الله ، وعليك الســـلام ورحمة الله ، عليك السلام ورحمة الله ، ثم قال: يا عبد الله بن جابر ألا أخبرك بخـــير ســـورة نزلت في القرآن ؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: فاتحة الكتاب]. قال علي: وأحســـبه قال: [فيها شفاء من كل داء][2].

قلت: علي هو: علي بن هاشم بن البريد، وقد أخرج الدارمي ما قال علي هذا من مرســـل عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: [فاتحة الكتاب شفاء من كل داء][3]. ولا يبعد أن يكون واسطته من الضعفاء ، فدلسه بالإرسال فإنه ثقة تغير وربما دلس، وقـــد أخرجـــه البيهقي [4].

هذا وفي الفاتحة وفضائلها أحاديث كثيرة منها الثـــابت الصحيـــح والضعيـــف والموضـــوع واقتصرنا على بعض ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ بغية إفادة القارئ وما ذكرنا مما تكلـــم فيه العلماء أبنّا علته، فسورة الفاتحة هي أفضل السور بالنص على ما مر ذكره، وبالمعنى علـــى ما سيأتي، وهي أجمع سورة للخير، زادنا الله بها فهما وعلماً وعملاً.

---

(١) في صحيحه (ص ١٢٣١رقم ٥٧٣٦).

(٢) في شعب الإيمان (٥/٦٠٥رقم ٢١٥٢)

(٣) في مسنده (٢/٣٢٠) .

(٤) في شعب الإيمان (٥/٣٠٧،٣٠٨رقم ٢١٥٤) وفيه انقطاع .

النظرة الحادية عشرة

مقـــاصـــد الفاتحـــة

من المعلوم لأهل العلم، وأصحاب الخبرة في البحث والنظر أنه لو ذهب بعضهم يتتبع مقـاصد الفاتحة. ويستحلي ماتضمنت من غايات لأمكنة أن يكتب الكثير من الفوائد العلمية، ونحن في هذا نسدد ونقارب لغرض الإفادة والتوجيه والدلالة لمن أراد الزيادة في البحث والإمعان فيه.

إن سورة الفاتحة تضمنت من المقاصد والمعاني والدلالات ما لم تتضمنه ســـورة مـــن ســـور القرآن الكريم، وقد ضم القرآن الكريم علوم الكتب السماوية وزاد عليها، ففي الفاتحة، الثنـاء الجميل على الله ﷻ بما هو أهله، على صفة الكمال المطلق، بأسمائه وربوبيته وصفاته تعـــالى، والاستعانة به وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، والتوجه إليه تعالى بالطلب والدعـاء ، وهذا كله مقاصـــد القرآن الكريم تناولـــه حديث [قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفـين ولعبدي ما سأل...] وقد ظهرت عدة مقاصد من خلال البحث والنظر في هـــذه الســـورة العظيمة،

خلاصة هذه المقاصد في ثلاثة أمور:

١. أن الفاتحة تضمنت مقاصد القرآن كله على سبيل الإجمال.

٢. أنها تضمنت مقاصد السورة الواحدة.

٣. أنها تضمنت مقاصد الآيات.

أما مقاصد القرآن فقد ذكر العلماء أنها في أربعة أمور:

١. الإلهيات.

٢. النبوات وقصص الأمم السابقة.

٣. الأوامر والنواهي والأحكام .

٤. المعاد وما بعده [١].

---

(١) أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل (١/٨) .

ومقاصد السورة الواحدة: مثاله ما تضمنته الفاتحة وهو ما ذكرنا في مستهل هذا المبحث.

أما مقاصد الآيات: فقد ورد في كثير من الآيات التوجيه إلى الحكم النظرية والأحكام العملية. وذلك في معرفة الطريق المستقيم وسلوكه ومجانبة طريق الشقاء ، ومعرفة مراتب الأشقياء والبعد[1] عنها، ويمكن أن يسمى هذا بالجانب العلمي، والجانب العملي، وسورة الفاتحة تضمنت آياتها الجانبين، فنصفها الأول علمي، والثاني عملي﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ إلى آخر السورة .

وفيما يلي نورد تحليلاً لهذه المقاصد حسب ما فهمنا من دراسة أقوال العلماء:

الإلهيات: تضمنها قول الله تعالى: ﴿ الحمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم ﴾.

تضمنت الأسماء والصفات والأفعال، فوجهت إلى معرفة الله ﷻ ، ومعرفة صفاته وأفعاله.

النبوات وقصص الصالحين ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ وقصص غيرهم من العصاة وأهل الكفر ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الأوامر والنواهي [الأحكام] تضمنها قوله تعالى:﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فهذا إيحاء إلى العبد أن الحكم الشرعي أن تكون العبادة خاصة وخالصة لله وحده لا شريك له، وكذلك الاستعانة، ولا يكمل ذلك إلا بالاستجابة لأحكام الإسلام.

المعاد: تضمنه قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين﴾ وهذا فيه وعيد وبيان أن الإنسان مدان بعمله في هذا اليوم المشهود، ويأخذ جزاء ما كسبت يداه، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وفي قوله تعالى: ﴿ أنعمت عليهم ﴾ وعد من الله عز وجل، أن من هذا حالهم في الاستقامة ، وتجريد العبادة لله ﷻ ، والمتابعة لرسوله محمد ﷺ ، مع الصبر والدعاء يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ومن هذا يتحصل لنا أن الفاتحة تضمنت ثلاثة ميادين علمية هي:

تعريف المدعو إليه: وهو [الله عز وجل] وذلك في قوله تعالى:﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين﴾ وقد فصل الكتاب والسنة هذا التعريف.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨/١) للبيضاوي .

تعريف الوسيلة الموصلة إليه : وهي ﴿ الصراط المستقيم﴾ المتمثل في العمل بما جاء عن الله ﷻ ، وعن رسوله محمد ﷺ وذلك في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1] وقال ﷻ : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [2]

تعريف حال المخلوق لهذا التكليف الشرعي: وهم بنوا آدم وهم قسمان: قسم استجاب لهذا التكليف ، فسلك الصراط المستقيم وهم الذين أنعم الله عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم﴾ وهم الأنبياء والرسل والصديقون والشهداء والصالحون، وعباد الله المؤمنون به وبأنبيائه وكتبه ورسله، السالكون صراطه المستقيم، بعملهم بأحكام الإسلام.

وقسم لم يستجب لداعي الشرع، وتنكب الصراط المستقيم، وخرجوا عن الجادة وهم الذين عرف حالهم بقوله تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ومن هذا يظهر لنا أن من مقاصد الفاتحة ما يلي:

المقصد الأول :

تحديد مسمى الإله وأنه [الله] ﷻ وحده لا شريك له، المتفرد بصفات الكمال والجلال، والخلق والإيجاد من العدم والربوبيه المطلقة لجميع المخلوقات، تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ وهذا جلي يعلمه أبسط الخلق، وفي هذا المقصد الرد على المشركين والملحدين، الزاعمين أن قوة خفية تدبر هذا العالم، وحاروا في تحديدها، وهذا من عمى البصائر والعياذ بالله. وقد هدى الله المسلمين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. وأنه تعالى وحده المدبر لهذا العالم، علويه وسفليه ظاهره وباطنه، ما علمنا منه وما لم نعلم.

---

(١) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

المقصد الثاني:

بيان أن العالم العلوي والسفلي، وما فيهما من مخلوقات، كلها مربوبة لله ﷻ ، هو ربها ومدبر شؤونها، لا يخرج عن قدرته شيء ، ولا يكون إلا ما يريد سبحانه، ومقتضى هذا رحمة عباده في تربيتهم الروحية، كما رباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، وفي هذا المقصد الرد على جميع الوثنيين الذين اتخذوا أرباباً من دون الله ﷻ ، تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ رب العالمين﴾ .

المقصد الثالث :

بيان أن ورود أسماء الرب جل شأنه [الله ـ الرب ـ الرحمن ـ الرحيم ـ مالك] تأسيس لتوحيد الأسماء والصفات وأنه على وجه الكمال لله ﷻ ، وأنه تعالى سمى نفسه هذه الأسماء وغيرها مما ورد في الكتاب والسنة على وجه الكمال المطلق، وعلى مبدأ ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [1] وفي هذا رد على جميع الفرق الضالة، التي تؤول الأسماء والصفات، أو تعطل ذات الله ﷻ منها، فمن جحد شيئاً منها أو أوله فقد كذّب صريح القرآن، وصحيح السنة النبوية، وقد تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين ﴾.

المقصد الرابع :

بيان أن الله تعالى هو المتفرد بالحكم، فله الأمر والنهي ورتب على هذا بعث العباد، وحشرهم في ذلك اليوم المشهود، الذي تنصب فيه الموازين وتكون فيه كل نفس بما كسبت رهينة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [2] لا يستطيعون زيادة في الحسنات، ولا نقصاً في السيئات قال تعالى:﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وان

(١) الآية (١١) من سورة الشورى .

(٢) الآية (٧ـ٨) من سورة الزلزلة .

سعيه سوف يرى﴾ [1] وفي هذا المقصد رد على الذين يسعون إلى إيجاد شرائع في الأرض وقوانين تخالف ما أنزل الله، من الناعقين والناعقات من المتبعين لأهوائهم في عالم اليوم المليء بالمتناقضات، وتصارع الأفكار والحضارات تضمن هذا قوله تعالى:﴿ مالك يوم الدين﴾.

المقصد الخامس :

بيان انه لا يستحق أحد العبادة إلا الله ﷻ وحده لا شريك له، فهو المعبود بحق على وجه الخصوص، فكل معبود سوى الله ﷻ باطل، وكل من عبد غير الله فقد ضل سبيل الرشاد، وسلك مسالك أهل الغي والعناد، وفي هذا المقصد رد على الذين يتعبدون عند القبور بالذبح، والذكر ودعاء الأموات، والتقرب إلى الأولياء ، وطلب قضاء الحاجات منهم، وهذا كله من صرف العبادة لغير الله ﷻ ، ولما كان الدعاء من العبادة نّصفه الله ﷻ في الفاتحة فجعل النصف الأول منه مجمع الثناء عليه تعالى، والنصف الثاني من الدعاء مجمع حاجات العباد كل ذلك يتوجهون به إلى ربهم وخالقهم تمجيداً وثناء عليه وطلباً واستجداء منه تعالى[2]. وفي الآية رد على المبتدعة من الجبرية والقدرية [3].

المقصد السادس :

نفي العناد والجحود، وطرد الشك والضلال، بطلب الهداية والتوفيق إلى الحق، فالهداية جزء من لطف الله ورحمته بالعباد ولأهمية هذا الجانب، أرسى الله ﷻ لوازمه أولا فعرف بالمعبود، الله جل جلاله، وخصه بالعبادة، وعرف بالمتبوع رسول الله ﷺ وخصه بالاتباع، وعرف بالمنهج الكتاب والسنة، وأمر بالاستقامة على ذلك، فهذه أركان الهداية الأربعة:

---

(١) الآية (٤٠) من سورة النجم .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٧)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٥) .

المعبود : هو الله ففي الفاتحة يكرر العبد الرجاء في خالقه ويديم التوسل والدعاء ، أن يهديه الطريق المستقيم في الأمور كلها الحسية والمعنوية، وفي هذا المقصد رد على الذين يتوسلون بالأموات من الأنبياء والصالحين، ويستجيرون بالمخلوق دون الخالق، تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾.

المقصد السابع :

بيان ان النبوة أعظم النعم التي من الله بها على العباد، فبواسطة الرسل عرف العباد ربهم وعبدوه حق عبادته، وعليهم أنزل الله كتبه، فكان القرآن الكريم خاتمها، وكان رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وقد حدد الله الخير والشر، وعرف الأمة الحلال والحرام، والمعروف والمنكر، وهذا كله مقتضى رحمته بعباده في قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ ومقتضى العدل في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ ومقتضى إخلاص العبادة له في قوله تعالى:﴿إياك نعبد﴾، فإن العبادة لا تسلم من الشرك والبدع، إلا إذا أخذت من طريق النقل عن الرسل عليهم السلام، فالعقول لا تحدد الشرائع وطريقة العبادات، ولا يعبد الله إلا بما شرع، ولا سبيل لمعرفة ما شرع الله ﷻ إلا من طريق الرسل عليهم السلام، ولذلك شدد الله ﷻ على اتباع الرسول ﷺ فقال:[قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله][1] وقال تعالى:﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[2] وقال تعالى:﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [3] وقال تعالى:﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [4] وقال تعالى:﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[5].

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٤) الآية (٣٦) من سورة الاحزاب .

(٥) الآية (٧) من سورة الحشر .

المقصد الثامن :

تصنيف بني آدم على أساس الإيمان بالله ﷻ ، وعدم الإيمان به حيث جعلت الفاتحة الناس صنفين:

١- صنف مؤمن عالم عامل، عرف الحق تعالى فعبده وحده لا شريك له، وعرف المبلغ عن الله ﷺ فصدقه ، وعرف الطريق المستقيم فسلكه، وهذا تضمنه قوله تعالى: ﴿ الذين أنعمت عليهم﴾

٢- صنف اتبع هواه ولم يسمع للرسول ﷺ ، ولم يحَكّم ما جاء به من عند الله ، فضل ضلالا مبيناً ، وتضمن هذا قوله تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

المقصد التاسع :

بث الوعي بين العباد بأسلوبين :

١ــ أسلوب الترغيب والبشارة، تضمنه قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ففي سلوك هذا المنهج ترغيب في الجنة ونعيمها وبشارة بالنجاة، وبمصاحبة الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والرسل، والصديقون والشهداء والصالحون.

٢- أسلوب التحذير والترهيب، تضمنه قوله تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فالتعبير بالغضب والضلال هو من أبلغ العبارات في الزجر والتخويف، ومن وقع في الضلال فقد خاب وخسر.

المقصد العاشر :

تشخيص الداء ، وتحديد الدواء: قد تشخص الداء من خلال قوله تعالى: ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وأنه لم ينلهم الغضب إلا بسبب كفرهم وعنادهم وعدم استجابتهم لدعوة الحق وقد لازم غضب الله اليهود لعنادهم وجحودهم .

وفي قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين ﴾ تشخيص لداء اتباع الهوى، وأنه يزل بصاحبه عن المحجة، فيكون في سبل تعصف به ولا يستقر به قرار[1] ومن هنا لازم الضلال النصارى لتحكيمهم أهواء أحبارهم ورهبانهم، وبذلك اتخذوهم أربابا [2] من دون الله.

وقد حدد الدواء في الهداية وأركانها التي أسلفنا الكلام عليها في المقصد السادس وهي: معرفة المعبود، ومعرفة المتبوع، ومعرفة المنهج، ثم الاستقامة على ذلك.

ومن ذلك نعلم أن صلاح القلوب لا يكون إلا بترسيخ العقيدة الصحيحة، وتحديد مسار العبد وفق ما تضمنته سورة الفاتحة.

النظرة الثانية عشرة

وجوب قراءتها في كل ركعة

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب][3] وانه قال [من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام] [4] فأي بيان أوضح من هذا [5].

وهذا ما ذهب إليه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية، وداوود بن علي الظاهري وجمهور أهل العلم قالوا: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، قال ابن خويز منداد المالكي البصري: وهي عندنا متعينة في كل ركعة، قال: ولم يختلف قول مالك فيمن نسيها في ركعة، من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل[6] ونقل هذا القول القرطبي رحمه الله في تفسيره [7]، ونقل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٢) انظر الآية ٣١ من سورة التوبة ـــ وحديث عدي بن حاتم .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/٢٩٥ ـــ رقم ٣٤) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/٢٩٧ ـــ رقم ٤١) من حديث أبي هريرة وفيه (بفاتحة الكتاب).

(٥) التمهيد (٢٠/١٩٢).

(٦) التمهيد (٢٠/١٩٢)

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٧)



عن ابن عبد البر قوله: الصحيح من القول إلغاء تلك الركعة يعني الركعة التي لم يقرأ فيها الفاتحة، ويأتي بركعة بدلاً منها كمن أسقط سجدة سهوا [(١)] وقال القرطبي رحمه الله: الصحيح من هذه الأقوال قول الشافعي وأحمد ومالك في القول الآخر، وأن الفاتحة متعينة في كل ركعة لكل أحد على العموم، لقوله ﷺ: [لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب][(٢)] وقوله: [من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج][(٣)] ثلاثا، وقال أبو هريرة ﷺ: أمرني رسول الله ﷺ ، أن أنادي أنه [لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد][(٤)] كما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أخرى، فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها. ثم عدد جمعا من الصحابة والأئمة قالوا بهذا [(٥)] وقال: وقد أخرج الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه، ما يرفع الخلاف ويزيل كل احتمال، فذكر بسنده ،من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : [لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد لله وسورة في فريضة أو غيرها][(٦)].

وحيث أن مقصدنا بيان الأصح من أقوال العلماء وما أيده الدليل ولزوم الاختصار وإلا فالنصوص الدالة على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة كثيرة سواء في حق المأموم أو المنفرد، ومنها ما ثبت في صحيح الإمام مسلم أنه ﷺ قال للذي علمه الصلاة: [وأفعل ذلك في صلاتك كلها][(٧)]وأخرج أبو داوود رحمه الله عن نافع بن محمود بن الربيع الأنصاري قال: أبطأ عبادة بن الصامت عن صلاة الصبح، أقام أبو نعيم المؤذن الصلاة، فصلى أبو نعيم

---

(١) المصدر السابق

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/٢٩٧ ــ رقم ٤٠)

(٣) سنن أبي داوود (١/٥١١ ، ٥١٢ ــ رقم ٨١٨ ــ ٨٢٠) بالألفاظ متقاربة .

(٤) سنن أبي داوود (١/٥١٢ــ رقم ٨٢١) ولفظه (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ......)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٩) .

(٦) سنن ابن ماجة (١/٢٧٤ ــ رقم ٨٣٩) في إسناده أبو سفيان السعدي طيف ابن شهاب ، ضعيف لكن تابعه قتادة أخرجه ابن حبان ، انظر (٣/١٤٠) من الإحسان بترتيب صحيح بن حبان

(٧) صحيح الإمام مسلم (١/٢٩٨ ــ رقم ٤٥).

بالناس، وأقبل عبادة وأنا معه حتى صففنا خلف أبي نعيم، وأبو نعيم يجهر بالقراءة، فجعل عبادة يقرأ أم القرآن، فلما انصرفت قلت لعبادة: سمعتك تقرأ بأم القرآن، وأبو نعيم يجهر؟ قال: أجل، صلى بنا رسول الله ﷺ بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة، قال: فالتبست عليه رواية الزهري، عن محمود ابن الربيع وقال: وهذا أصح، والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الإمام ، عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ، وهو قول مالك بن أنس، وأبن المبارك والشافعي، وأحمد وإسحاق[1].

وقال الدار قطني بعد أن أخرج الحديث من طريق محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود: هذا إسناد حسن، وقال بعد أن أخرجه من طريق زيد بن واقد، عن مكحول بـه: كلهم ثقات يعني رجال إسناده وقال عن محمود بن الربيع الأنصاري وكان يسكن إيليا[2] وعن أبي نعيم وكان أبو نعيم أول من أذن في بيت المقدس[3] واعتقد أنه من كلام الدار قطني وإلا لما حكم على الإسناد بأن رجاله ثقات .

وهذا يرد كلام أبي عمر بن عبد البرفي أبي نعيم أنه مجهول[4] فالذي أراه راجحاً ومنصوراً دليله بأذن الله تعالى وجوب القراءة لما أوردنا من نصوص ولأنه أحوط في دين العبد، وأتقى لله تعالى.

ومن أراد العودة إلى أقوال العلماء في هذه المسألة فإن الخلاف فيها على ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر رحمه الله قال : وهذا موضوع اختلفت فيه الآثار، عن النبي ﷺ واختلفت فيه العلماء من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، على ثلاثة أقوال. ثم قال منهم قائلون: لا يقرأ لا فيما أسر ولا فيما جهر. وقال آخرون يقرأ معه فيما أسر فيه ولا يقرأ فيما جهر فيه إلا بأم القرآن، خاصة دون غيرها .... والثالث سقط و لم يتنبه المحقق إلى

(١) سنن الترمذي (١/١٢٠).

(٢) بكسر أوله واللام ، وياء وألف ممدودة ، إسم مدينة بيت المقدس ، قيل : معناه بيت الله .(معجم البلدان ١/٢٩٣).

(٣)سنن الدار قطني (١/٣١٨ ــ رقم ٥ ، ص٣١٩ ــ رقم ٦) وانظر الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٠) .

(٤) التمهيد (١١/٤٦).

إلحاقه وهو: يقرأ فيما أسر الإمام ولا يقرأ فيما جهر[1] وقد ناقش رحمه الله الآثار والأقوال و أفاض في ذلك[2]وقد أبنّا القول الراجح[3] وأن قراءة أم الكتاب في كل ركعة لا تسقط إلا عند العجز عن قراءتها عجزا شرعياً وبالله التوفيق.

النظرة الثالثة عشرة

جواز الزيادة على الفاتحة من القرآن

ليعلم القارئ الكريم ، أنه لا تجزيء صلاة من يحسن فاتحة الكتاب إلا بها، ولا يجزيء أن ينقص حرفاً منها، لأن ذلك تحريف وإحالة للمعنى إلى غير المراد منه، فإن لم يقرأها المصلي أو نقص منها حرفاً، أعاد صلاته وإن قرأ بغيرها،وهذا هو الصحيح إن شاء الله تعالى.

وقد أجمع العلماء على أنه لا صلاة إلا بقراءة ، وأنه لا توقيت في ذلك بعد الفاتحة ، عن النبي ﷺ[4] ، ومستند جواز الزيادة في القراءة على الفاتحة حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال للأعرابي: [إقرأ ما تيسر معك من القرآن][5] أي ما زاد على الفاتحة، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ فاقرؤا ما تيسر منه﴾ [6]ولو أراد الفاتحة لما خيّر لأن قراءتها واجبة، كما في حديث عبادة أيضاً: [لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن][7] وزاد في رواية [فصاعدا][8]

---

(١) التمهيد (١١/٢٧ ــ ٢٨).

(٢) التمهيد (١١/ ٢٣ ــ ٥٥).

(٣) وانظر الرازي (١/٢١٤ ــ ٢١٨ ، وللعلم بما قيل في مطلق القراءة ١/١٨٨ ــ ٢١٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٤) .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/٨٩٢ ــ رقم ٤٥).

(٦) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/٨٩٥ ــ رقم ٣٤) وما بعده .

(٨) صحيح مسلم (١/٢٦٩ ــ رقم ٣٧) .

وقوله ﷺ: [هي خداج ــ ثلاثا ــ غير تمام] أي غير مجزئة والخداج النقص والفساد [1] والصريح في ذلك أيضاً رواية أبي داوود من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: [أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر][2] وهذا تفسير لمراده ﷺ بقوله للأعرابي: [اقرأ ما تيسر معك من القرآن] قال القرطبي رحمه الله: والنظر يوجب في النقصان أن لا تجوز معه الصلاة، لأنها صلاة لم تتم، ومن خرج من صلاته وهي لم تتم فعليه إعادتها، كما أمر على حسب حكمها، ومن أدعى أنها تجوز مع إقراره بنقصها فعليه الدليل، ولا سبيل إليه من وجه يلزم. والله أعلم[3].

النظرة الرابعة عشرة

سقوط قراءتها عن العاجز الذي تعذر عليه إدراكها

أوضحنا مكان الفاتحة من الصلاة وأنها روح الصلاة بتمامها تكون الصلاة تامة صحيحة، وبنقصانها تكون الصلاة ناقصة باطلة على ما هو صحيح ومعضد بالأدلة، ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن جعل هذا الدين فيه رحمة ومراعاة لأحوال العباد وقدراتهم الذهنية والبدنية، فمن تعذر عليه القدرة على قراءة الفاتحة، بعد بلوغ الجهد والطاقة لزمه أن يذكر الله ﷻ في موضع القراءة بما أمكنه من تكبير أو تهليل أو تحميد أو تسبيح أو تمجيد، أو لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا صلى وحده أو مع إمام، ومستند هذا القول ما أخرجه أبو داوود من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: [جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعلمني ما يجزئني منه، قال: [قل سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله

---

(١) قال الأخفش: خدجت الناقة : إذا ألقت ولدها لغير تمام ، وأخدجت: إذا قذفت به قبل وقت الولادة ، وإن كان تام الخلقة (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٣)، كذلك انظر النهاية ٢/١٢ ، قلت: وفي كلتا الحالتين هو تالف لا حياة له ، وانظر لسان العرب ٢/٢٤٨) .

(٢)سنن أبي داوود (١/٥١١ ــ رقم ٨١٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٣) .

أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله]، قال: يا رسول الله هذا لله، فما لي ؟ قال: [قل اللهم أرحمني ، وارزقني وعافني واهدني] فلما قام قال: هكذا بيده. فقال رسول الله ﷺ: [أما هذا فقد ملأ يديه من الخير][1] هذا وعلى المسلم أن يجهد نفسه في تعلم الفاتحة، نصاً ودلالة، ولا يقصر في ذلك لترتب صحة الصلاة، وكمالها على صحة قراءة الفاتحة، فإذا بلغ الجهد وعجز فقد جعل الله له سبيلا إلى الخير كما أسلفنا بيانه.

النظرة الخامسة عشرة
احتواء الفاتحة على علوم القرآن

تنافس العلماء رحمهم الله في كشف ما تضمنته الفاتحة من العلوم، وذكروا فوائدها ونفائسها، وقدر بعضهم ما يمكن الوصول إليه من ذلك بعشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد[2] الخ.

ولا ريب أن الفاتحة تضمنت ما ورد في القرآن الكريم من علوم وهي مرتبة كما يلي:

أولاً : علم توحيد الربوبية الذي نبه عليه رب العزة والجلال بالثناء على نفسه بأكمل الحمد وأوفاه فقال :﴿الحمد لله ﴾ فكأن قائلا تساءل فقال: من هو ؟ فقال تعالى: ﴿رب العالمين ﴾ فذكر كل الأوصاف والنعوت الجميلة الموجبة للإقبال عليه تعالى إقبالاً كلياً مضمنة قوله: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وقد جاء في الكتاب العزيز ﴿ إرباب متفرقون خير أم الله

(١) سنن أبي داوود (١/٥٢١ ــ رقم ٨٣٢) في إسناده إبراهيم السكسكي احتج به البخاري و لم ينفرد به تابعه طلحة بن مطرف كما ذكر محقق سنن الدار قطني (١/٣١٣ ــ ت ١) .
(٢) التفسير الكبير (١/٣) .

الواحد القهار ﴾ [1] ولا يحصل العلم بأنـه تعالى رب العالمين إلا بمعرفـة معـنى [رب] ومعرفة المراد [بالعالمين] [2]وهذا تقرير توحيد الربوبية الشاملة لكل مخلوق [فالعالمين] شامل لجميع المخلوقات، خلافاً لمن قصره على [الناس]فهو تعالى رب الناس، يعلم دقائق خلقهـم وما يصلحهم في الدنيا والآخرة ، كما هو رب هذا العالم الكبير، من الجواهـر والأعـراض يعلم دقائق خلقها، وما يصلحها ويدبر أمرها، [فالعالمين] مفردها عالم وقيل: العالم جمـع لا واحد له من لفظه، فكما أن الجمع المعروف يستغرق آحاد أفراده، كما في مثل قوله تعالى: ﴿والله يحب المحسنين ﴾ [3] أي كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى بـه وإن لم يطلق عليها فيتناول اللفظ [العالمين] كل واحد من آحاد الأجناس التي لا تكاد تحصى وجمع بالواو والنون، تغليبا للعقلاء ، وقد روي عن وهب بن منبه أنه قال: لله تعالى ثمانيـة عشـر ألف عالم والدنيا عالم منها [4] فاستفدنا من صيغة الجمع والتعريف أمرين:

١. أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة .

٢. أنه مستغرق لجميع ما تحته منها[5] .

قلت : ما روي عن وهب إن صح وثبت فهو بحسب ما ظهر للإنسان، وليـس المـراد بـه الحصر والاستقصاء ، فخلق الله لا يحيط به مخلوق ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [6].

ثانياً : علم توحيد الأسماء والصفات المضمن قول الله ﷻ : ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين ﴾ .

(١) الآية ٣٩ من سورة يوسف

(٢) أنظر (التفسير الكبير ١/٦)

(٣) الآية ٩٣ من سورة المائدة .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/١٩ ــ ٢١) .

(٥) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (مع الكشاف ١/٩) .

(٦) الآية (٨) من سورة النحل

ثالثاً : علم توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة الذي بعث الله الرسل للدعوة إليه المضمن قوله تعالى: ﴿ الحمد ﴾. وقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

رابعاً : علم الأحكام الشرعية، الأمر والنهي، الحلال والحرام، المضمن قوله تعالى:﴿إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم﴾ المرتب عليه الوعد والوعيد، المضمن قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ وقوله تعالى: ﴿ الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

خامساً : علم الأخبار وقصص الأمم السابقة، والقرون الأولى، المضمن قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

هذا ما تلخص لنا من النظر في أقوال العلماء[1] رحمهم الله تعالى .

النظرة السادسة عشرة

المنهج التربوي في سورة الفاتحة

لقد تضمنت سورة الفاتحة جوانب تربوية عظيمة منها :

١. **الجانب العلمي المعرفي النظري:** يتمثل ذلك في معرفة المدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، وهو الله ﷻ فقوله تعالى: ﴿ الحمد لله ﴾ عرّف العباد أن الله ﷻ هو المختص بالحمد على وجه الكمال، فوجب على كل مسلم أن يعي هذا، وينطلق في تربية نفسه ومن ولاّه الله أمرهم من مبدأ أن الله تعالى رب العالمين، الذي أوجدهم ورعاهم وأسبغ عليهم

(١) انظر: (التفسير الكبير ٣/١ – الجامع لأحكام القرآن ١١٠/١، ١١٢- وتفسير ابن القيم ص٧- وإرشاد العقل السليم ٨/١- وروح المعاني ٣٥/١).

نعمه ظاهرة وباطنة، ولذلك تضمن اسمه الكريم [رب] ثلاثة أمور: الرب بمعنى المعبود، والرب بمعنى المربي والمنعم، والرب بمعنى المالك المتصرف.

٢. **الجانب العملي التطبيقي**: ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ إن المسلم إذا تقرر لديه الجانب النظري، بادر إلى الجانب العملي فإن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فتكون عبادته خالصة لله ﷻ، وتوكله عليه وحده، واستعانته به سبحانه في كل شؤونه، ولا معارضة فيما يحصل بين المسلمين من تعاون فإنه من باب العون والمساعدة بالنسبة للمخلوق، ومن باب العبادة والتوكل بالنسبة للخالق سبحانه.

تحديد ثمرة التلازم بين الجانبين السابقين؛ ولا تحصل الثمرة إلا باجتماعهما، وهي: الهداية إلى الطريق المستقيم: ويتمثل في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فطلب الهداية يستلزم البعد عن الضلال، وكل ما يغضب الله ﷻ وتحمل المسؤولية : في سبيل إظهار الحق المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم﴾، والذين أنعم الله عليهم هم المطيعون لله ورسوله، أعلاهم الأنبياء والرسل، ثم الصديقون والشهداء والصالحون، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهذا يجعلنا نتعرف على المسؤوليات المنوطة بنا شرعا، ونربي عليها أنفسنا وأسرنا، وبها يقوم المجتمع الإسلامي، ويمارسها واقعا عملياً على قدر الطاقة، ومن خلال الوسائل التي تستخدم في تحقيق الأهداف، ويحسن أن نقدم للقارئ الكريم مثالين لتوضيح ما أسلفنا القول فيه :

المثال الأول : ما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى:﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وقلنا : أعلاهم الأنبياء والمرسلون، حصل لهم ما حصل من الكرامة والنصر والجزاء في الدنيا والآخرة لأنهم حققوا الجانبين المتلازمين من التربية: الجانب المعرفي النظري، والجانب التطبيقي العملي، فصبروا وصابروا وقد فصل الله ذلك في سورة الصافات، إذ ذكر نبيه نوحاً عليه السلام، وذكر من ثمرة معرفته بالله وتطبيقه عمليا لعبادة ربه ، أن استجاب الله

دعوته[1]، فحصلت له ولأهله النجاة [2]وختم الله ذلك بقوله تعالى:﴿ سلام علـــى نـــوح في العالمين ﴾[3] وهكذا ذكر الله ﷻ الرسل واثنى عليهم واحدا واحداً فذكر إبراهيم وتاريـــخه وما لقي من المحن وختـــم بقوله تعالى: ﴿ سلام على إبراهيم﴾ [4]، ثم ذكر موسى وهـــارون ونجاقما من فرعـــون وقومه وختم بقوله تعالى:﴿ سلام على موسى وهارون﴾ [5]، ثم ذكـــر إلياس وقصته مع قومه، وختم بقوله تعالى:﴿ سلام على إل ياسين ﴾[6]، ومن هذا نعلم أن الله ﷻ ذكر ذلك تربية لنبينا محمد ﷺ ، وتعليما لأمته أن الله ﷻ يجعل الثناء للمجاهدين الأبطـال من المكافآت العاجلة، وذلك لإقتدائهم بأنبياء الله ورسله، واستقامتهم على منهج الله، ومـــن هذا يجب على الأمة الإسلامية أن تعلن فضل الفضلاء من أبنائها، وأن تشيد بعلـــم العلمـــاء منهم، وحكمة الحكماء ، وجهاد الأبطال الذين يُعلُون كلمة الله في الأرض من أمثال الأئمـــة الأربعة ومن تلاهم من علماء الطب والفلك والرياضيات، والكيمياء ، ومن بعدهـــــم مـــن المجاهدين من أمثال صلاح الدين، وشيخا الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم كثير، وعلى الأمة الإسلامية أن تقوم بنشر فضائلهم، وكشف محاسنهم التي خدموا ها أمتـهم الإسلامية، لتقتدي هم الأجيال المتعاقبة، لكن الأمة الإسلامية اليوم صرفت هذا لأصحـــاب الرقص والغناء ، وغيرهم ممن لا يتفق عملهم مع كتاب ولا سنة، واستبدلوا الذي هـــو أدنى بالذي هو خير.

<u>المثال الثاني</u> : ما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى:﴿ غير المغضوب عليـــهم ولا الضـــالين ﴾ وقعوا في الضلال المبين، وهو ما قص الله ﷻ عن أهل النار، ﴿ فأقبل بعضهم علـــى بعـــض

---

(١) قال الله تعالى : (ولقد نادانا نوحاً فلنعم المجيبون)الآية (٧٥)من سورة الصافات .

(٢) قال الله تعالى : (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) الآية (٧٦) من سورة الصافات .

(٣) الآية (٧٩) من سورة الصافات .

(٤) الآية (١٠٩) من سورة الصافات .

(٥) الآية (١٢٠) من سورة الصافات .

(٦) الآية (١٣٠) من سورة الصافات .

يتساءلون ﴾ [1] إلى قوله تعالى: ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ [2] أنذرهم لشذوذهم في الفكر والسلوك وعدم قبولهم الدعوة التي جاء بها الرسل، فاشتغلوا بالهوى والشهوات، وغرتهم الأماني، وهذا حال الأمة الإسلامية اليوم في غالب أمرها، سلبت مقدساتها، انتهكت الأعراض في كثير من بلاد المسلمين، تطاول الكذبة من أعداء الإسلام، على كتاب الله ﷻ، وعلى سنة رسوله ﷺ، [والمليار] من المسلمين يتفرجون، ويحوقل الصالحون منهم، من هذا المثال يجب أن يعي المسلمون الخطر المحدق بهم حينما تكون الأهواء دستورا والشهوات منهجا وحرية الفكر لا حدود لها ومن هنا نعلم أهمية طلب الهداية والتوفيق، وأنها من أعظم الوسائل لتحقيق الغايات النبيلة، فقوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إدراك الغاية وهي ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بسبب طلب الهداية وقصة أصحاب الكهف [3] من أبرز الأمثلة على ذلك ومن السنة قصة أصحاب الغار [4] والسبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله [5]، كان ثمرة لتحمل المسؤولية، والصبر عليها، فنتج عن ذلك ما حصل من العاقبة الحسنة ودوام الذكر الحسن والثناء عليهم إلى يوم الدين. وهنا نلحظ قاعدتين تربويتين: تضمنتها سورة الفاتحة ؛ وهي أن التربية لا تقوم إلا على أساسين هامين: هما منهجان إسلاميان تربويان ويجب إعتمادهما في حياة الفرد والجماعة:

١- الرحمة: وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ وقد جعل الله تعالى هذا الجانب من التربية غريزة في الأم، فإن الطفل يجد عندها الحنان والرأفة والرحمة في منتهى صورها، ولذلك قال رسول الله ﷺ : [لله أرحم من هذه بولدها] [6] .

---

(١) انظر الآيات من (٥٠ ــ٧٣) من سورة الصافات .

(٢) الآية (٧٣) من سورة الصافات .

(٣) انظر (القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآيات : ٩ـــ ٢٢) .

(٤) أنظر (صحيح البخاري ص ٤٤٥) كتاب الإجارة ، باب (١٢) حديث (٢٢٧٢) .

(٥) أنظر (صحيح البخاري ص ١٣٢) كتاب الصلاة ، باب (٣٦) حديث (٦٦٠) وإحالاته .

(٦) أخرجه البخاري في (ص ١٢٧٧) كتاب الأدب ، باب (١٨) حديث (٥٩٩٩) .

يتجلى منه عظم الخالق سبحانه ، وهذا يمثل القسم الأول من أقسام الناس: وهم الذين عرفوا سورة الفاتحة، وعلموا فضلها، وخبروا مقاصدها، وفهموا دلالاتها الظاهرة والضمنية، فكانت عندهم بمنزلة القلب من الجسد، إذا توقف عن العمل توقفت الحياة عن سائر الجسد، فجرى حرصهم على العمل بالفاتحة نصاً وروحاً، وكانوا مضرب المثل في الفهم النظري والتطبيق العملي هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين رباهم على وحي ربه، وأرشدهم إلى العمل بسنته ﷺ فكانوا الصفوة المختارة ليقتدي بهم من بعدهم من التابعين فهم العدول المبلغون عن الله ورسوله، وهكذا يتكامل هذا الصنف الواعي جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أخرج الإمام البخاري من حديث المغيرة‌ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون] [1] المعنى المراد منه أشبه بهذا الفلاح، الذي يقبل على حقله وينظمه ويقوم على شؤونه في حدود علمه ولا شك أن المفسر للقرآن، العالم بمعانيه ومقاصده أرقى بكثير من العابد، فهو أشبه بالمهندس، والعابد أشبه بصاحب الحقل .

أما الطفل فإنه يقصر عن الاثنين قصورا بينا، فالصبي يروقه منظر الحقل وجماله، وتعجبه أشجاره وأزهاره، ويشتاق لفواكهه وثماره لكنه لا يفقه من أسرارها شيئا ولا يعلم كيف وجدت، فهذا مثل القسم الثالث من أقسام الناس:

وهم الجهلاء من المسلمين عامة الذين لا يحسنون فهم الفاتحة، وربما رددوها بتحريف وتصحيف، وإذا سألت أحدهم عن كلمة منها أهي على هذا الوجه أو على وجه آخر لما عرف الصواب من الخطأ وربما اختار الخطأ فصوبه، وهذا الصنف هم الكثرة الكاثرة ويدخل فيهم المبتدعون من أصحاب القبور، ودعاة الأولياء والصالحين وغيرهم. فلو عرفوا معنى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم﴾ ما وقعوا في بدعة قط.

---

(١) أخرجه البخاري في (ص٢٠ ـــ ٢١) كتاب العلم ، باب (١٣) حديث (٧١) .

وكم أخشى على كثيرين من القراء الذين يفرحون بنغماتهم القرآنية في المـــآتم، والأعـــراس والحفلات العامة والخاصة، وكم من محفل يفتتح بالقرآن وفيه من مخالفة الكتاب والسنة مـــا الله به عليم، فهل عرف أسرار الفاتحة مثل هؤلاء ؟!

أما الدابة فإنه لا يعينها من ذلك إلا حاجتها، كل تلك الصورة الجمالية وما فيها من أســـرار الخلق والتكوين لا تعنيها في شيء ، كل ما تعرفه أن هذا يروق لها أكله ، تأكل منه ما تشـاء وتطأ ما تشأ ولا شيء وراء ذلك فهذا مثل القسم الرابع من أقسام الناس:

وهم الذين فارقوا شرع الله واتبعوا الهوى فأصبحوا كالأنعام بل هم أضـــل وهـــم اليـــهود والنصارى ومن سار في ركابهم وتشبه بهم ولم يعر الإسلام أذناً ولا رفع به رأساً.

ومعلوم أن فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وأكثرهم بها جاهلون، لا يعقلون معانيها ولا يعرفون مقاصدها، ولذلك تكالب عليهم الأعـــداء وهـــم في غفلـــة معرضون، والعلم مفتاح التفكّر والتدبّر إذ أن العلماء هم الذين يعرفون أســـرار الأشـــياء ، ولذلك حفل كتاب الله وسنه ورسوله بالثناء عليهم والإشادة بهم﴿ إنما يخشى الله من عبـــاده العلماء ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿ وما يعقلها إلا العالمون﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلـــم درجات﴾ [4] وغير ذلك، فعالم الكتاب والسنة يعقل مرامي الآيات ومقـــاصد الأحـــاديث، وعالم النبات يعقل ما أودع الله فيه من أسرار الخلق والتكوين، وعالم الطب يعقـــل مـــا في الأجسام من عجائب الخلق، وكذلك الدارسون للشريعة الإسلامية يعقلون مـــا فيـــها مـــن الحكم، وهم بعلم الفاتحة وعقل ما فيها أحرى فالقرآن والسنة مثل ضوء الشمس منتشـــر في الجو لكنه لا يظهر إلا على سطح الأرض، أو على جسم قابل، والهواء لا يعكس ضوءهـــا،

---

(١) الآية (٢٨) من سورة فاطر .

(٢) الآية (٤٣) من سورة العنكبوت .

(٣) الآية (٩) من سورة الزمر .

(٤) الآية (١١) من سورة المجادلة .

لذلك لا يراه الطائر في الجو، كذلك الأفئدة الخالية من العلم والحكمة يمر بها القرآن والسنة فلا تشعر بمعانيه، فأم الكتاب يقرؤونها صباح مساء ، ولا يدركون ما فيها من الضوء المشرق، ولا نشك في أن هذا العصر صالح لظهور المقصود من القرآن الكريم في بلاد الإسلام، إذا ما توجه المسلمون لذلك وعالجوا جميع قضاياهم من خلال الكتاب والسنة ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[1].

النظرة الثامنة عشرة

حكم الاستعاذة

أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن، ولا أية منه، وهو قول القارئ:[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء ، لأنه لفظ كتاب الله تعالى[2] في التعوذ، قال الله ﷻ ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾[3] والفاتحة قرآن، والشيطان أحرص ما يكون على إيذاء المسلم في صلاته، لأنه إذا أفسدها عليه فقد نال ما تمنى، لذلك ورد النص على قراءتها في الاستفتاح عند الدارمي[4] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فكبر قال: [سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفثه، ونفخه][5] ثم يستفتح صلاته.

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الحج .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨٧/١)

(٣) الآية (٩٨) من سورة النحل .

(٤) سنن الدرامي (٢٢٦/١رقم ١٢٤٢) ونقد الحديث بعض العلماء وأعله بعلي بن علي بن نجاد الرفاعي ، والصواب أن الحديث لا ينزل عن الحسن فله شاهد، وعلي المذكور، وثقة غير واحد كما ذكر الذهبي في الكاشف (٢٩١/٢) وقال ابن حجر: لابأس به ويقال : كان يشبه بالنبي ﷺ

(٥) ورد تفسير هذه الكلمات عند الدرامي عقب الرواية ، كذلك عند أبي داوود وابن ماجه ، همزة : الموتة (وهي الجنون) ونفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر .

وأخرجه أبو داوود وابن ماجه وابن حبان من حديث جبير بن مطعم ﷺ واللفظ لابن ماجه(١) قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال:[الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، ثلاثاً، الحمد لله كثيرا، الحمد الله كثيرا، ثلاثا سبحان الله بكرة وأصيلا، ثلاث مرات، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفثه، ونفخه] .

وقد جاء ما يدل على تعلق هذا بالصلاة مباشرة، أخرجه الإمام مسلم (٢)من حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي يلبسها علي. فقال الرسول ﷺ :[ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا]. قال: فقلت ذلك فأذهبه الله عني وأخرج ابن ماجه (٣)من حديث ابن مسعود ﷺ قال:[اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه](٤) فنحن مأمورون بمحاربة عدونا الشيطان في جميع الأحوال عند القراءة سواء في الصلاة أو غيرها(٥)، وإذا أصبحنا وأمسينا(٦) .

(١) عند أبي داوود : قال عمرو :لاأدري أي صلاة هي .

(٢) صحيح الإمام مسلم (١٧٢٨/٥ ــ رقم ٦٨) .

(٣) سنن ابن ماجة (٢٦٧/١ ــ رقم ٨٠٨) .

(٤) وصححه الألباني (صحيح ابن ماجة ١٣٥/١) .

(٥) حديث أبي سعيد الخدري ﷺ [أن رسول الله ﷺ يقول قبل القراءة : أعوذ الله من الشيطان الرجيم] أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦/٢ رقم ٢٥٨٩) وأخرجه أبو داود في السنن (٤٩٠/١) كتاب الصلاة ، باب (١٢١) حديث (١٢٢) وحديث أبي أمامه ﷺ (كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة من الليل كبر ثلاثا ، وسبح ثلاثا وهلل ثلاثا ، ثم يقول : إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٥٣/٥) وحديث جبير بن مطعم ﷺ في الاستعاذة في الصلاة أخرجه أبو داود (٤٣٦/١) كتاب الصلاة ، باب (١٢١) حديث (٧٦٤) .

(٦) حديث معقل بن يسار ﷺ (من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) الحديث أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٦/٥) وحديث أبي هريرة ﷺ في أمره ﷺ لأبي بكر أن يقول إذا أمسى وإذا أصبح : ... أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه) أخرجه أبو داود (٣١٠/٥ ــ ٣١١) كتاب الأدب ، باب (١١٠) حديث (٥٠٦٧) والترمذي في كتاب الدعوات ، حديث (٣٣٩٢) .

وعند دخول المسجد(١) وعند ثورة النفس، وعند حدوث الغضب(٢)، وحتى عند معاشرة الزوجات(٣) فندعو كل مسلم إلى الحرص على الاستعاذة في مستهل القراءة في الصلاة، فريضة أو نافلة، وقد نقل القرطبي قول المهدوي: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة، في أول قراءة سورة [الحمد] إلا حمزة فإنه أسرها(٤). وهذا إجماع منهم على قراءتها في أول سورة [الحمد] وهذا ما نراه لكل مسلم القراءة بها في سورة [الفاتحة]، فإن اقتصر بعد ذلك على البدء بها في الركعة الأولى فحسن، وإن قرأها في كل ركعة كان أحسن، ومعلوم ما ورد من الترغيب في الاستعاذة في غير الصلاة، لما فيها من الحرز والحصانة، وهو مما يحرص عليه المسلم، فإن في الاستعاذة إشارة إلى نفي ما لا يجوز من العقائد والأعمال(٥) وهذه حصانة للروح قبل حصانة الجسد.

النظرة التاسعة عشرة

تفسير الاستعاذة

معنى الاستعاذة: الاستجارة، وتأويل قول القائل :[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] أستجير بالله من الشيطان، أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي عز وجل(٦).

---

(١) حديث عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ (أنه كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) أخرجه أبو داود (٣١٨/١) كتاب الصلاة ، باب (١٨) حديث (٤٦٦)

(٢) حديث سليمان بن صرد ﷺ أخرجه البخاري (ص٦٦٩) كتاب بدء الخلق ،باب (١١) حديث (٣٢٨٢) في (ص ١٢٨٥) كتاب الأدب ، باب (٤٤) حديث (٦٠٤٨) وأخرجه مسلم (٢٠١٥/٤) كتاب البر ، باب (٣٠) حديث (٢٦١٠) وأخرجه أبو داود من حديث معاذ ﷺ (١٣٩/٥) كتاب الأدب ، باب (٤) حديث (٤٧٨٠) .

(٣) حديث ابن عباس ﷺ (اللهم جنبنا الشيطان ...) أخرجه البخاري في (ص ٦٦٨) كتاب بدء الخلق ، باب (١١) حديث (٣٢٧١) وهذه النصوص وإن تكلم النقاد في بعض رواتها فهو كلام لا يخرج عن حد القول بتظافر الروايات وأنها لا تقل عن درجة الصحيح لغيره .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨٧/١).

(٥) انظر : التفسير الكبير (٥/١) .

(٦) جامع البيان عن وجوه القرآن تأويل القرآن (١١١/١) .

تأويل قوله ﴿ من الشيطان ﴾:

الشيطان في كلام العرب: كل متمرد من الجن والأنس والدواب، وكل شيء ، قال الله عز وجل:﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ [1]فجعل من الانس شياطين مثل الذي جعل من الجن، ولما ركب عمر بن الخطاب ﷺ [برذونا][2] فجعل البرذون يتبختر به، أخذ عمر ﷺ يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال: [ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي][3] وهذا يلفت النظر إلى دقة عمر ﷺ في مراقبة أحوال نفسه.

وقد سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً، لمفارقة أخلاقه وأفعاله، أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده عن الخير، وقول القائل: شطنت داري من دارك: أي بعدت. ومنه قول نابغة بني ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون   فبانت والفؤاد بها رهين[4]

تأويل قول ﴿الرجيم ﴾ :

الرجيم: الملعون المشتوم وكل مشتوم بقول رديء أو سب فهو مرجوم، وأصل الرجم: الرمي بقول كان أو فعل. ومن الرجم بالقول: قول أبي إبراهيم، لإبراهيم عليه السلام:﴿ لئن لم تنته لأرجمنك ﴾ [5]وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان: رجيم لأن الله جل ثناؤه طرده من سماواته، ورجمه بالشهب.

---

(١) الآية (١١٢) من سورة الأنعام .

(٢) البرذون : الدابة ، وسيرته (البرذنة) والأنثى (برذونة) قال الشاعر :

رأيتك إذ جالت بك الخيل جولة   وأنت على برذونة غير طائل

لم أقف على قائله وهو في (لسان العرب ٥١/١٣، ٢٩٤/١٤) .

(٣) أسنده أبو جعفر الطبري (جامع البيان ١١١/١) رجاله ثقات وهشام بن سعد حسن الحديث وهو من رجال مسلم .

(٤) للنابغة الذبياني في (ديوانه ص٧٢).

(٥) الآية ٤٦ من سورة مريم .

النظرة العشرون

القول في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

إن قول الله ﷻ: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هو الآية الأولى على ما نراه راجحا من أقوال العلماء رحمهم الله ، فالله تعالى ذِكْره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمدا ﷺ ، بتعليمه تقديم ذِكْر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وأقواله وجميع مهامه، وجعل ما أدبه به ربه تعالى لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها، فباسمه تعالى يكون افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: [بسم الله] من مراده الذي هو محذوف[1] فأصبح المسلم ذاكرا الله ﷻ في كل شؤونه ، فيقول :[بسم الله][2] أقرأ و[بسم الله]أكتب، وأقعد وأقوم، وأنام وأصحو، وأدخل وأخرج، وآكل وأشرب، وأسافر وأعود وغير ذلك من الأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله ﴾ [3].

وقال رسول الله ﷺ:[أغلق بابك وأذكر اسم الله ، وأطفئْ مصباحك واذكر اسم الله، وخمر[4] إناءك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك وأذكر اسم الله] [5]، وقالﷺ: [لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن قدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدا][6]وقال لعمر بن أبي سلمة: [يا غلام سم

---

(١) جامع البيان (١١٤/١) بتصرف .

(٢) تكتب بغير ألف (بسم الله) استغناء عنها بباء الإلصاق، في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال ، بخلاف قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك) لم تحذف الألف لقلة الاستعمال .(جامع البيان ٩٩/١) .

(٣) الآية (٤١) من سورة هود .

(٤) التخمير: التغطية، ومنه خمرت المرأة رأسها ووجهها:إذا غطتهما وسترتهما، والوكاء: الحبل الذي يشد به فم السقا، (القربة).

(٥) أصله في الصحيحين من حديث جابر ﷺبالشطر الأول منه ، أنظر : (صحيح الإمام البخاري مع الفتح ٦٤٧/١٢ ـــ رقم ٥٦٢٣ ـــ وصحيح الإمام مسلم ١٥٩٥/٣ ـــ رقم ٩٧) .

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٢/٨رقم ٣٢٧١) مع الفتح .

الله وكل بيمينك][1] وقال : [إن الشيطان ليستحل الطعام إلا بذكر اســـم الله عليـــه] [2] وقـــال: [من لم يذبح فليذبح بسم الله][3]، قال[بسم الله الرحمن الرحيم] يتبرك بها كـــل مؤمن ومؤمنة، ويحرص كل منهما على أن يكون ذكرها دائماً على لسانه، حتى عند عثـــور الدابة، أو اصطكاك القدم يبادر إلى قول: [بسم الله الرحمن الرحيم].

أخرج أبو داود بسند رجاله ثقات من حديث رديف النبي ﷺ قال: كنت رديف النـــبي ﷺ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان فقال: [لا تقل تعس الشيطان فـــإنك إذا قلـــت ذلـــك تعاظم، حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي. ولكن قل: بسم الله ، فإنك إذا قلت ذلـــك تصاغر حتى يكون مثل الذباب] [4].

فإذا علم ما تقدم بيانه وتدوينه فإن ما تنشرح إليـــه النفس هو قراءة [بســـم الله الرحمـــن الرحيم] وأنها آية من سورة الفاتحة، فيقرأ بها سرا في الصلاة عملاً بما ثبت من حديث أنـــس وغيره، وإلى هذا ذهب جمع من الصحابة والتابعين والأئمة العلماء من بعدهم، منهم عمـــر وعلي وابن مسعود وعمار وابن الزبير رضي الله عنهم، وهو قول الحكم وحماد، وبـــه قـــال الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد، وروي عن الأوزاعي ، وذكره القرطبي وقال: هـــذا قـــول حسن وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تضادّ ، ويخرج به من الخلاف في قراءة البســـملة [5].

---

(١) أخرجه الإمامان البخاري ومسلم من حديث عمر بن أبي سلمة ، انظر : صحيـــح الإمـــام البخـــاري مـــع الفتـــح ٢٦٨/١٢ــ رقم ٥٣٧٦ ــ وصحيح الإمام مسلم ١٥٩٩/١ــ رقم ١٠٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٧/٣ــ رقم ١٠٢) من حديث حذيفة ﷺ

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٥١/٣ ــ رقم ٣،٢،١) من حديث جندب بن سفبان البجلي ﷺ وهو عند البخاري من حديثه دون التسمية (صحيح البخاري مع الفتح ٥٣٦/١٢ ــ رقم ٥٥٦٢) لكنها في روايـــة أبي عوانة كما ذكر الحافظ في الفتح (٥٣٧/١٢) وللمزيد لمن رغب ينظر الجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).

(٤) في سننه (٢٦٠/٥ ــ رقم ٤٩٨٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن (٩١/١، ٩٢) وعزاه للنسائي وكذلك عزاه المنذري ، وهو في اليوم والليلة كما في تحفة الأشراف ١٦٥/١١ حديث (١٥٦٠٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١).

و لم نتعرض لأقوال العلماء في الإبانة عن الاسم، أهو المسمى أو غيره، أو صفة له؟ وما ذهب إليه أهل الحق، أن الاسم هو المسمى[1].

تفسير لفظ الجلالة:

هو الذي يألهه [2]كل شيء قال ابن عباس ﷺ: [الله] ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[3]. وهذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، و لم يتسم به غيره سبحانه. ولذلك لم يثنَّ و لم يجمع[4].

تفسير الرحمن :

قال ابن عباس ﷺ : [الرحمن الرحيم] اسمان يعني لله ـــ، رقيقان أحدهما أرق من الآخر[5]. ولكل اسم منهما معنى لا يؤديه الآخر، المعنى الذي في تسميته ﷻ بـ [الرحمن] أنه تعالى موصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه، في الدنيا والآخرة، وتسميته تعالى بـ [الرحيم] أنه تعالى موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه. [فالرحمن] اسم مختص بالله عز وجل، لا يجوز أن يسمى به غيره، قال الله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) [6] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/١٠١،١٠٢) .

(٢) أي يعبده كل شيء ،قال رؤبة في ديوانه ١٦٥، : لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي
أي من تعبدي انظر (جامع البيان ١/١٢٣).

(٣) جامع البيان (١/١٢٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/١٠٢).

(٥) معالم التنزيل (١/٣٨) وفي إسناده إلى ابن عباس ﷺ علتان :

١ـ فيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس.

٢ـ بشر بن عمارة ضعيف ، وكلتاهما غير مؤثرتين في صحة المعنى ، وإنما لا يقطع بأنه من قول ابن عباس ﷺ.

(٦) الآية (١١٠) من سورة الإسراء .

اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [1] فأخبر تعالى أن الرحمن هو المستحق للعبادة، ومن أعجب العجب أن مسيلمة الكذاب أخزاه الله تسمى بـ [رحمان] اليمامة، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب، فألزمه الله تعالى بنعت الكذاب لذلك، وإن كان كل كافر كذاباً، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علماً يعرف به إلى يوم القيامة. فالله ﷻ عم المؤمنين والكفار برحمة في الدنيا، فأعطاهم أعظم النعم وهي: إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لهدايتهم إلى الخير، وهو ما تحصل به حياة القلوب والأرواح وزادهم من الأفضال، والإحسان والبسط في الرزق، وتسخير السحاب بالغيث وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأبدان والعقول وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون، كل ذلك من مقتضى اسمه تعالى [الرحمن] فربنا جل ثناؤه، رحمن جميع خلقه، في الدنيا والآخرة[2].

تفسير الرحيم :

تقدم القول بأنه تعالى موصوف بخصوص الرحمة لبعض خلقه. وذلك في كل الأحوال، أو في بعض الأحوال فالخصوص الذي في وصفه تعالى بـ [الرحيم] لا يستحيل عن معناه في الدنيا، ويكون ذلك في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما جميعاً، فإنه تعالى قد خص عباده المؤمنين في عاجل الدنيا، بما لطف هم من توفيقه إياهم للطاعة، والإيمان به وبرسله، واتباع أمره واجتناب معاصيه، مما خذل عنه من أشرك به وكفر، ومن خالف ما أمره به، وركب معاصيه، وقد خص الله تعالى عباده المؤمنين في الآخرة بما أعد لهم في جناته، من النعيم المقيم، والفوز المبين، وخصهم برحمته العامة لهم في يوم الجزاء والحساب[3]، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده المخصوصين برحمته، وفضله في الدنيا والآخرة .

---

(١) الآية (٤٥) من سورة الزخرف .

(٢) انظر توثيق ما تقدم في : (جامع البيان ١/١٢٣ ــ ١٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١/١٠٦) بتصرف .

(٣) أنظر : جامع البيان (١/١٢٦)بتصرف .

النظرة الحادية والعشرون

القول في تفسير الحمد لله رب العالمين

[الحمد لله] قال ابن عباس ﷺ: هو الشكر والاستخذاء[1] لله والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك[2] ومعناه: الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه،ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد سبحانه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه سبحانه، فصحح فيهم الآلات لطاعته، ومكن جوارح وأجسام المكلفين من أداء فرائضه، مع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا، ومن هنا جاءت [الحمد] معرفة بالألف واللام؛ لأن لها معنى لا يؤديه قول القائل: [حمدا] بإسقاط الألف واللام وذلك أن دخولهما في [الحمد]لاستغراق الجنس من جميع المحامد، والشكر الكامل لله ﷻ ، فهو وحده يستحق الحمد بأجمعه، إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ولهذا العموم في معنى الحمد تتلبعت قراءات القراء، وعلماء الأمة على رفع الحمد من [الحمد لله رب العالمين] دون نصبها، الذي يحيل المعنى[3]: وقد تقدم القول في معنى لفظ الجلالة [الله].

[رب] له معان كثير والمراد به هنا: الخالق المالك الرزاق، قال ابن عباس ﷺ: يقول يعني جبريل عليه السلام: قل الحمد لله ، الذي له الخلق كله، السماوات كلهن ومن فيهن، الأرضون كلهن من فيهم، وما بينهن، مما يعلم ومما لا يعلم[4].

---

(١) فيه معنى الانكسار والاسترخاء والذل والخضوع والانقياد أنظر (اللسان ١٤/٢٢٥ــ٢٢٦، وترتيب القاموس ٢/٢٥)

(٢) أسند أبو جعفر الطبري (جامع البيان ١٤/١٣٥)وتكلم في إسناده .

(٣) انظر توثيقة في (جامع البيان ١/١٣٥،١٢٨ــ والجامع لأحكام القرآن ١/١٣٣) بتصرف.

(٤) انظر (جامع البيان ١/١٤٢،١٤٣) في إسناده بشر بن عمارة :ضعيف

[والعالمين] جميع المخلوقات مما تقدم بيانه مما علم ومما لا يعلم مالكهم الله ﷻ ، وكل من ملك شيئا فهو ربه، والرب اسم من أسماء الله ﷻ ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، ومن العلماء من قال: إنه الاسم الأعظم لكثرة الداعين به، فليتأمل ذلك في القرآن الكريم، كما في آخر سورة آل عمران، وسورة إبراهيم، وغيرهما لما يشعره به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب، مع ما يتضمن من العطف والرحمة، والافتقار إليه في كل حال[1].

النظرة الثانية والعشرون

تفسير الرحمن الرحيم

تقدم بيان ذلك في الآية الأولى لكن من تمام القول في هذا أن الله ﷻ أعاد هذين الاسمين العظيمين من أسمائه الحسنى وكلها عظيمة لما يشعر به قوله تعالى:﴿رب العالمين﴾ من خوف ورهبة منه تعالى فهو الخالق المالك المربي المتصرف، قرنه بعد ذلك بقوله:﴿الرحمن الرحيم﴾ لما فيهما من الترغيب في رحمته تعالى وعفوه وكرمه ليجمع ﷻ في صفاته بين الرهبة منه تعالى، والرغبة إليه سبحانه، وهذا منهج الثواب والعقاب في التربية، فيكون أكثر عوناً على الطاعة، وأشد تأثيراً في المنع من المعصية، كما قال تعالى:﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [2].

وأخرج الإمام مسلم[3] من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنة أحد] نسأل الله تعالى عفوه ورحمته، ونعوذ به من عذابه وسخطه.

---

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٦،١٣٧).

(٢) الآيتان (٤٩،٥٠)من سورة الحجر .

(٣) صحيح الإمام مسلم (١/٢١٠٩ ــ رقم ٢٣) ، وانظر (الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٩) .

النظر الثالثة والعشرون

القول في تفسير مالك يوم الدين

أعلم أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بهذا الاسم، ولا يدعى به إلا الله تعالى، فله الملك المطلق في الدنيا والآخرة، لذلك جاءت هذه الآية تذكر جميع الخلق الإنس والجن، أن الله ﷻ هو المتفرد بملك يوم الدين، وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى صاحب الملك المطلق في الدنيا، لكنه خوّل بعض عباده شيئاً من صفة الملك في الدنيا، فمنهم سابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم ظالم لنفسه، اقتضت حكمته تعالى هذا الإيجاد في الحياة الدنيا، للابتلاء والامتحان، فكان الملك له خالصاً يوم الدين كما قال تعالى: ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾(1).

أخرج الشيخان (2)البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:[يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض]. ولما كانت الآخرة دار جزاء وخلود أختص الله ﷻ بالملك، لينال العباد جزاء سعيهم في الدنيا، ملوكاً وأمما، على حد سواء ، وسواء كانوا إنسا أم جنا، وفي الآية والحديث من تنبيه الغافل، وتحريض النابه ما يجعلهما في غاية الحذر والتحسب لهذا الموقف العظيم، وليعلم العبد أنه في قبضة خالقه ينادى على رؤوس الإشهاد ، لمن الملك اليوم ؟ فيدفعه هذا إلى محاسبة النفس في الدنيا، إن كان من ذوي الألباب الموفقين.

---

(1) الآية (١٦) من سورة غافر.

(2) صحيح البخاري (٣٣/٦ ـرقم ٤٨١٢، وصحيح مسلم ٢١٤٨/١ـ رقم ٢٣) .

النظرة الرابعة والعشرون

في تفسير إياك نعبد وإياك نستعين

يلاحظ القارئ هنا أن أسلوب الآيات تحول من الغيبة إلى الخطاب، ولا غرابة في ذلك، ففيه إشارة إلى أن العبد تشبعت روحه بمعرفة الله تعالى وربوبيته للمخلوقات، ومعرفة أسمائه وصفاته، فتحول الخطاب بناء على هذه المعرفة، كأن العبد يرى ربه فيخاطبه، غير شاك في ألوهيته وأسمائه وصفاته، على حد ما ورد في ركن الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، ثم إن التحول من الغيبة إلى الخطاب أسلوب عربي معروف، والقرآن نزل بلغة العرب، ومن المعقول عن العرب أن من شأنهم إذا حكوا، أو أمروا بحكاية، أن يخاطبوا ثم يتحولوا إلى الإخبار عن غائب ، ويخبرون عن غائب ثم يعودون إلى الخطاب، لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب، كقولهم للرجل: قد قلتُ لأخيك، لو قمتَ لقمتُ ، وقد قلتُ لأخيك، لو قام لقمتُ . قال أبو كبير الهذلي :

يالهف نفسي كان جدة خالد   وبياض وجهك للتراب الأعفر[1]

ومنه قول لبيد بن ربيعة: باتت تشكّى إلي النفس مجهشة   وقد حملتُك سبعا بعد سبعينا[2]

وفيهما الرجوع إلى الخطاب بعد الغيبة، وهذا في كتاب الله ﷻ كثير[3].

والمعنى: نخصك بالعبادة وحدك لا شريك لك، فنخشع ونذل ونستكين، ولا ريب أن الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة والعبودية عند العرب الذلة تقول: طريق معبد، أي مذلل قد وطئته الأقدام، وذللته السابلة: جعلته معبدا. ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت   وظيفاً وظيفاً [4]فوق مور معبد[5]

---

(١) منسوب لأبي كبير الهذلي ، وليس في ديوان الهذليين .

(٢) في ديوانه (ص ٢٢٥) وقال (قامت) وانظر جامع البيان (١/١٥٣،١٥٤) بتصرف

(٣) انظر سورة يونس (الآية ٢٢)وسورة الدهر (الآتين ٢١،٢٢) .

(٤) المراد به هنا خف الناقة الموصوفة وانظر (جامع البيان ١/١٦١) .

(٥) في ديوانه ص٣٥.

وقد قدم الضمير [إياك]في الجملتين للإشعار بخصوصية العبادة والاستعانة بالله وحده لا شريك له ، ولئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود، فلا يجوز [نعبدك، ونستعينك] ولا [نعبد إياك، ونستعين إياك] فيجب إتباع لفظ القرآن، قال العجاج:

إياك أدعو فتقبل ملقي فاغفر خطاياي وكثر ورقي(١)

﴿إياك نستعين ﴾: أي بك يا ربنا نستعين على طاعتك، وعبادتك، وعلى كل أمورنا في حالنا ومستقبل عمرنا.

اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة، دون ما سواك من الآلهة والأوثان، فأعنا على عبادتك، ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليهم من أنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج(٢).

النظرة الخامسة والعشرون

تفسير اهدنا الصراط المستقيم

لما أكمل الله ﷻ بيان الأحكام والحلال والحرام، وأقام الحجة بأوضح ما يكون البيان والبرهان، وجه عباده إلى طلب المزيد من الهداية والتوفيق والثبات كما قال ابن عباس ﷺ في تفسير هذه الآية: ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج فيه(٣)وهو دين الإسلام، وقد فسره بذلك جابر بن عبد الله ﷺ فقال: [الصراط المستقيم هو الإسلام](٤) وعن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال: [ضرب الله صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس أدخلوا الصراط جميعاً ولا تفرقوا، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد

---

(١) في ديوانه (١/١٧٨) وفي الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٥) .

(٢) جامع البيان (١/١٦٧،١٦٩).

(٣) أسنده أبو جعفر الطبري (١/١٦٦، ١٧٤)

(٤) أخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه (المستدرك ٢/٤٤٦)ووافق الذهبي .

الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فـإنك إن تفتحـه تلجـه، فالصراط: الإسلام، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي علـى رأس الصراط: كتاب الله ، والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم][1] قـال الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن [الصراط المسـتقيم] هـو الطريـق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو كذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جريـر بـن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم[2]

يربد على طريق الحق، ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب :

صبحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناها أدق من الصراط [3]

النظرة السادسة والعشرون

تفسير صراط الذين أنعمت عليهم

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ هذا بيان لنوع الصراط المطلوب الهداية إليه، والثبات عليـه، وأنه كما قال ابن عباس ﷺ : طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، مـن الملائكـة والنبيين، والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك[4]فيكون المعني به: وفقنـا للثبات على ما أرتضيته ، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلـك هو الصراط المستقيم، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه، مـن النبيـين والصديقـين

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١٨٢/٤ــ١٨٣) وهو حديث حسن في إسناده الحسن بن سوار:صدوق، وبقية رجالـه رجال الصحيح ، وأخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علـة و لم يخرجـاه (المستدرك ٧٣/١) ووافق الذهبي .

(٢) في (ديوانه ٢١٨/١) .

(٣) منسوب لأبي ذؤيب الهذلي ، وليس في ديوانه هذا البيت ، وهو في تفسـير القرطـبي (١٠٣/١) وتفسـير الطـبري (١٧٠/١) والدر المصون (٦٤/١) .

(٤) أسند الطبري رحمة الله (جامع البيان ١٧٨/١)

والشهداء ، فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجر الله عنه، واتباع منهج النبي ﷺ ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكل عبد صالح، ذلك من الصراط المستقيم[1].

﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وهنا يتكرر السؤال وطلب العافية فكما سألوه تعالى أن يهديهم سبيل المؤمنين، سألوه تعالى ألا يضلهم، كما دعوه فقالوا :﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [2] [فالمغضوب عليهم] هم العصاة بمختلف معاصيهم، داخلون في غضب الله ﷻ بتفاوت فأعلاهم اليهود، وأدناهم مرتكب الذنب، فالله ﷻ يغضب من عمل الذنوب وإن قلّت.

[والضالون] هم الجهال، أعلاهم النصارى ضلوا طريق الحق، وأدناهم الجهال من العوام الذين يجهلون أمور دينهم ودنياهم وقد ذهب الجمهور من العلماء رحمهم الله إلى أن [المغضوب عليهم] هم اليهود لتكذيبهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، ولقولهم في عيسى عليه السلام: إنه ابن زانية ، فكذبوا الله ورموا عيسى وأمه، وتجاسروا على الله سبحانه وتعالى فقالوا : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء﴾[3] وقالوا: ﴿ يد الله مغلولة﴾[4] فباؤوا بغضب من الله، وهم رأس من غضب الله عليهم من عباده من الأنس والله أعلم ، قال الله تعالى:﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ غضب الله عليهم ﴾ [6] قال الجمهور: [الضالون] النصارى لأنهم اتبعوا الهوى فضلوا في آمر عيسى عليه السلام، وقالوا بالتثليث فأفرطوا في اعتقادهم ، وجاوزوا الحد في دينهم ، وغلوا في أمر نبيهم المسيح عليه السلام، فقالوا أنه إله، وزعموا أنه ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، قال الله ﷻ :﴿ قد ضلوا من قبل

---

(١) أنظر جامع البيان (١٧١/١)

(٢) الآية (٨) من سورة آل عمران

(٣) الآية (١٨١) من سورة آل عمران

(٤) الآية (٦٤) من سورة المائدة

(٥) الآية (١١٢) من سورة آل عمران

(٦) الآية (١٣) من سورة الممتحنة

وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[1]، أما المسلمون فهم أصحاب الصسراط المستقيم والحمد لله كانوا وسطا بين اليهود والنصارى، فاعتقاد اليهود تفريط، واعتقاد النصارى إفراط والمسلمون وسط بينهم، آمنوا بالله تعالى وما جاء به أنبياؤه ورسله :

اللهم أحينا مسلمين مؤمنين، وأمتنا مسلمين مؤمنين وابعثنا مسلمين مؤمنين غير خزايا ولا نادمين، والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم وبارك على أنبيائه ورسله أجمعين.

النظرة السابعة والعشرون

معنى آمين

أكثر العلماء على أن معنى آمين: اللهم استجب لنا، وُضع موضع الدعاء ، وهذا قول حسن فإن الله ﷻ جعل الدعاء في الفاتحة على نصفين، النصف الأول منها مجمع الثناء عليه تعالى، والنصف الثاني فيه مجمع حاجات العباد، وحسن أن يختم الثناء والدعاء بطلب القبول والاستجابة فكأن القائل: آمين يقول: اللهم استجب لنا يا ربنا ثناءنا عليك بما أنت أهله، ودعاءنا الذي به تقضي حاجاتنا وتجعلنا من عبادك المقبولين، وقد كان الصحابة يختمون الدعاء بآمين .

في [آمين] لغتان :

١- المد : على وزن [فاعيل] مثل [ياسين] قال الشاعر في المد :

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى أبلغها ألفين آمينا[2]

٢- القصر : على وزن [فعيل] قال الشاعر :

تباعد مني فطحل إذ سألته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعدا [3]

(١) الآية (٧٧) من سورة المائدة .

(٢) لم أقف على قائله وهو في تفسير ابن عطية ١٣٢/١) ، وتفسير القرطبي (٩٠/١) والدر المصون (٧٧/١)

(٣) لجبير بن الأضبط في (تهذيب إصلاح المنطق ص ٤٣٩)

وهي كلمة عربية لا ريب في ذلك ومن شدد الميم فقد أخطأ [١]

النظرة الثامنة والعشرون

حكم قول آمين

ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:[إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه] [٢] وقال ابن شهاب: [وكان رسول الله ﷺ يقول: آمين] .

وفي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أخرجه مسلم [٣]وغيره: [وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين يجبكم الله].

فهذه النصوص وغيرها في نظري دالة على وجوب قول [آمين] بعد الفراغ من قراءة الفاتحة، وقول القرطبي رحمه الله: [ويسن لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة، بعد سكتة على نون [ولا الضالين]: آمين، ليتميز ما هو قرآن، مما ليس بقرآن][٤]فيه نظر من حيث أن ما ورد من الأمر بقولها، لا صارف له عن الوجوب إلى السنية. والثاني أن الفاتحة قرآن، وقد قرر ذلك رحمه الله بقوله: [وأجمعت الأمة على أنها، يعني الفاتحة، من القرآن][٥] فالقول بوجوبها هو الصحيح إن شاء الله ، ولا يجوز تعمد تركها ومن نسيها لا يجب عليه سجود السهو لقوله ﷺ : [رفع عن أمتي الخطأ والنسيان]، ولا يعارضه ما ورد فيه النص.

---

(١) أنظر توثيق ما تقدم في (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٧،١٢٨وروح المعاني ١/٩٧)بتصرف

(٢) متفق عليه ، أنظر (صحيح البخاري ٢/٢٦٢، رقم ٧٨٠، وصحيح مسلم ١/٣٠٧، رقم ٧٣—٧٦)

(٣) صحيح مسلم (٢/٣٠٣رقم ٦٢) وأنظر (الجامع لأحكام القرآن ١/٩٧)

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٤).

النظرة التاسعة والعشرون

أهمية قول آمين

أهمية قول آمين بعد قراءة الفاتحة واضحة مما ورد في النصوص الثابتة من أنها سبب في المغفرة، وقد أخرج أبو داود من حديث أبي زهير النمري[1] خرجنا مع رسول الله ذات ليلة، فأتينـــا على رجل قد ألح في المسالة[2] فوقف النبي ﷺ ، يستمع منه فقال النبي ﷺ:[أوجب إن ختـــم، فقال رجل من القوم: بأي شيء يختم ؟ قال: بآمين، فإنه إن ختم بـــآمين فقـــد أوجـــب] فانصرف الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال: اختم يا فلان بآمين وأبشر[3] وفي هذا أخبـــار لا تخلو من مقال وقد يعضد بعضها بعضا[4].

النظرة الثلاثون

الجهر بآمين

الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله الجهر بآمين للإمام والمأموم والنصوص الدالة على ذلك كثيرة منها ما تقدم وعقد الإمام البخاري رحمه الله ترجمتين لذلك قال في الأولى: باب جـــهر الإمام بالتأمين وقال عطاء: آمين دعاء ، أمن ابن الزبير ومن وراءه، حتى إن للمسجد للجّـــة، وكان أبو هريرة ينادي الإمام؛ لا تفتْني بآمين[5]، وقال في الثانية: باب جهر المأموم بآمين[6]، وذكر حديث أبي هريرة المتقدم في آخر المبحث الثالث.

---

(١) أسد الغابة وذكر أن أبا زهير كنية لثلاثة اختلف العلماء فيهم فمنهم من عدهم ثلاثة ، ومنهم من قال : إنهم شـــخص واحد وسماه يحي بن نفير (٢٠٢/٥).

(٢) يعني الدعاء.

(٣) سنن أبي داود (٥٧٧/١رقم ٩٣٨) وفي إسناده صبيح بن محرز مقبول .

(٤) أنظر (الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/١ ـــ ١٢٨).

(٥) صحيح الإمام البخاري مع الفتح (باب ١١١ من كتاب الأذان ٢١٨/٣رقم ٧٨٠)

(٦) صحيح الإمام البخاري (باب ١١٣ من كتاب الأذان ٢٢٥/٣ رقم ٧٨٢)

وأخرج أبو داود [1] والدار قطني من حديث وائل بن حجر ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ إذا قرأ [ولا الضالين] قال: [آمين]، ورفع بها صوته) .
وأخرجه الترمذي وقال: حديث حسن[2] وقال أيضاً عقب قول عطاء: وبه يقول غير واحد من أهل العلم، من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، يرون أن يرفع الرجل صوته بآمين لا يخفيها، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق[3] ولا حجة قائمة لمن قال بالإسرار بآمين، بدعوى أنها دعاء ، والله ﷻ يقول:﴿ أدعوا ربكم تضرعا وخفيه﴾[4] لأنه يقال له ثبت ذلك من فعل رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، ثم إن إخفاء الدعاء إنما يكون أفضل لما يدخله من الرياء ، أما ما يتعلق منه بصلاة الجماعة فشهودها، إشهارُ شعارٍ ظاهر، وإظهار حق يندب العباد إلى إظهاره، وقد ندب الإمام إلى إشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعاء والتأمين في آخرها، فإذا كان الدعاء مما يسن الجهر فيه فالتأمين على الدعاء تابع له، وجار مجراه وهذا بين[5].

(١) سنن أبي داوود (٥٧٤/١) وأنظر سنن الدار قطني (٣٣٢/١ ، ٣٣٣- رقم ١)
(٢) سنن الترمذي (١٨٤/٢ — رقم ٢٤٨)
(٣) أنظر (الجامع لأحكام القرآن ١٢٩/١)
(٤) الآية (٥٥) من سورة الأعراف .
(٥) انظر (الجامع لأحكام القرآن ١٢٠/١)بتصرف .

النظرة الحادية والثلاثون

كيف يصل المسلم إلى أعلى درجات التقرب

إن المسلم مأمور باستشعار عظمة الله ﷻ ، وقدرته سبحانه على الخلق والإحياء ، والإماتة والبعث والجزاء ، سيما في حال أداء العبادات، ومعروف أن الصلاة عليها مدار العبادات، وفيها مناجاة متكررة في كل وقت أوجب الله عز وجل أداء هذه الفريضة العظيمة فيه، قال الله ﷻ : ﴿ قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [1]

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان قال: [أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك] [2] وهنا يلزم العبد تدبر ما يقرأ حتى يحصل الاستشعار، ويتم الخشوع، ويتحقق له قول الله ﷻ : ﴿ واسجد واقترب﴾ [3] فإذا ما قرأ الفاتحة متدبرا ظهر له من صفات الربوبية في قوله تعالى: (رب العالمين) ومن صفات الرحمة في قوله﴿ الرحمن الرحيم ﴾ والملك في قوله: ﴿ مالك يوم الدين﴾ وإخلاص العبادة في قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ما يجعله مستشعرا عظمة الله ﷻ كأنه يراه ، فيكون قلبه ولسانه يثنيان على الله ﷻ بجميع المحامد ، وتكون الجوارح في سكون وخشوع كامل، إذ أنه من خلال النصف الأول من الفاتحة استشعر عظمة الله ﷻ ، من خلال ثنائه وحمده الله تعالى وذكره بالغيبة بأسمائه وصفاته، فلما كمل الاستشعار في قلبه وفكره ، صارت تلك الصفات والمعاني في ذهنه في حكم المشاهد على حد قوله ﷺ: [كأنك تراه] فالتفت عن الغيبة إلى الخطاب ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وبهذا الاستشعار وذلك التصور الذهني، والخشوع والتذلل الظاهر بين الجوارح، وصل القارئ إلى أعلى درجات التقرب والعبودية لله وحده لا شريك له، و لم يبق بعد هذا الوصول إلا الطلب من المعبود سبحانه ﴿ إياك نستعين ﴾ والاستعانة هنا لها جانبان:

---

(١) الآيتان (١،٢) من سورة المؤمنون

(٢) جزء من حديث أبي هريرة عند البخاري (٥١٣/٨ ــ رقم ٤٧٧٧)

(٣) الآية (١٩) من سورة العلق .

الأول : يخص الاستعانه به سبحانه وتعالى على القيام بما فرض الله ﷻ ، على عباده من العبادات ، ومن العون عليها هدايتهم وتوفيقهم لها، ومدهم بالصبر والثبات عليها ، قال تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا ﴾ (2) وقال الله ﷻ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾ (3) وفي ذلك حبس للنفس عما حرم الله.

الثاني : يخص الاستعانة به سبحانه على ما أباح للعباد من الطيبات من أمور الدنيا البحتة، كحفظ الصحة والكسب الحلال، قال تعالى: ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (4) وقال ﷻ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(5)، وقال تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾(6) وقال سبحانه:﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾(7) وجميع مهام الحياة، وهي تختلف باختلاف الناس، وما خولهم الله فيه من التمكين في الأرض، ابتداء من تهذيب النفس وإدارة أمور الأسرة الصغيرة، وانتهاء برعاية الأمة وحفظ حقوقها، وفيه تدخل جميع الحرف والصناعات من صناعة الإبرة إلى بناء المفاعلات الذرية، لا يتم للمسلم شيء منها إذا لم يستعن بالله ﷻ وإن حصل لغير المسلمين شيء من ذلك فهو ابتلاء من الله لهم ، واستدراج لهم منه تعالى وقد أخبر تعالى: أنهم﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة هم

---

(١) الآية (٤٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٣٥) من سورة فصلت .

(٣) الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١٥) من سورة الملك .

(٥) الآية (٣٢) من سورة الأعراف .

(٦) الآية (٢٠) من سورة المزمل .

(٧) الآية (١٠) من سورة الجمعة .

غافلون﴾[1] وقال: ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ [2] أما المسلمون فقد جمع الله لهم بين الدنيا والآخرة إذا ما تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم، ومن هنا وجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وفي كل شبر منها، شعوبا وحكاما، جماعات وأفرادا، وجب عليهم العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله، والعمل بهما نصا وروحا، سالكين المنهج النبوي، ونهج الخلافة الراشدة، حذو القذة بالقذة[3]، آخذين بأسباب وحدتهم وقوتهم وعزتهم كما فعل أسلافهم، من الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الصالحين من الملوك والقادة الفاتحين، إنهم إذا فعلوا ذلك يستطيع مبعوث المسلمين إلى غيرهم، أن يقول مثلما قال مبعوث سعد بن أبي وقاص، الصحابي الجليل، النعمان بن مقرن، إلى يزد جرد ملك الفرس أيام حرب القادسية، في زمن الخليفة الراشد عمر:[إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا، يدلنا على الخير ويأمرنا به إلى قوله: وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام، دين حّسن الحسن، وقّبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر، هو أهون من آخر شر منه، الجزية، فإن أبيتم فالمناجرة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه، وعلى أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم، وشأنكم وبلادكم ....الخ[4]] ولا ستطاع أن يفعل مفاوض المسلمين مثلما فعل ربعي بن عامر حينما دخل على رستم بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم ينزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، قال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله

---

(١) الآية (٧) من سورة الروم .

(٢) الآية (١٧) من سورة الطارق .

(٣) ريش السهم واحدها : "قذة " ، أي: كما تقدر كل واحدة على قدر صاحبتها وتقطع ، بضرب مثلا للشيئين يستويان ، ولا يتفاوتان .(النهاية ٤/٢٨)

(٤) البداية والنهاية (٧/٥١،٥٢) .

ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ....الخ[1] .

ولوقف موقف المغيرة بن شعبة ﷺ من رستم أيضاً حينما هدد، واستشاط غضبا من المسلمين وأزبد وأرعد، وقال: أمرت لكم بكسوة ولأميركم ألف دينار وكسوة ومركوب، فقال المغيرة: أبعد أن أوهنا ملككم، وضعفنا عزكم، ولنا مدة نحو بلادكم، ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون، وستصيرون لنا عبيدا على رغمكم][2]

وهذا غيض من فيض من مواقف المسلمين وقادهم العظام، حينما كانوا مع الله ورسوله قلباً وقالباً، إن العالم الإسلامي متخم بالدول الإسلامية، الواسعة الأرجاء ، المالكة لكثير من الثروات، ذات الدور الفعال في قلب الموازين السياسية والعسكرية في العالم، يلقي بثقل المسؤولية العظمى على الحكام والعلماء ، والأعيان والحكماء تجاه دينهم ووحدهم، وقوتهم وحضارهم، ويوجب عليهم استغلال الثروات ، ومعرفة العلوم والصناعات، ليحفظوا دينهم وحضارهم، ويقيموا الوزن بالقسطاس المستقيم في شعوبهم، ويكونوا خلفاء الله في الأرض، محققين قول الله ﷻ : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون اخوة﴾ [4] وقول رسول الله ﷺ : [مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد، بالسهر والحمى] [5] بهذا يكونوا أولياء الله ﷻ ، وخلفاؤه في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم ولمثل هذا فليعمل العاملون.

---

(١) البداية والنهاية (٤٩/٧) .

(٢) البداية والنهاية (٥٠/٧) .

(٣) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٤) الآية (١٠) من سورة الحجرات .

(٥) أخرجه مسلم (١٩٩٩/٤ ــ رقم ٦٦) من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

الخـــــاتمـــــة

إن من أعظم نعم الله ﷻ على هذه الأمة أن بعث منها محمدا ﷺ ، وأرسله إليـــها بـــالهدى ودين الحق ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، كرمها بخير رسله، شرفها بديـــن الإســـلام، المنهج الصالح لكل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو الصراط المســـتقيم، والمنهج القويم به يسعد البشر، في حياة مليئة بالعدل والمساواة، عامرة بالأمن والاســـتقرار، وقد تبين لي من هذه النظرات الممتعة في هذه السورة العظيمة ما يلي:

١- وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بجميع المحامد .

٢- أنه تعالى المتفرد بربوبية عباده ، وسائر المخلوقات .

٣- كمال رحمته ﷻ لسائر خلقه في الدنيا والآخرة .

٤- التذكير بيوم الحساب والجزاء ، وأن الله تعالى هو الملك الديان .

٥- الإرشاد إلى طلب الهداية ووحدة الأمة في المعبود والمتبوع والمنهج .

٦- التحذير من سبل أهل الشرك والزيغ والأهواء .

٧- أن سورة الفاتحة من أعظم السور الموجهة إلى هذه المقاصد .

٨- وجوب الاعتناء بهذه الأمور والتربية عليها من خلال الفاتحة وغيرها من كتاب الله تعالى.

٩- وجوب تفهم الفاتحة فهي ركن من أركان الصلاة، ومن الأذكار النافعة في كل الأحوال.

١٠- أن الفاتحة من أعظم شعارات وحدة المسلمين ، اعتقادا وقولاً وعملاً ، لا فرق بين عربي وغيره .

التوصيات

يجب على كل مسلم أن يهتم بالفاتحة تلاوة وفهما، فهي من أركان الصلاة، بصحة تلاوتها تصح الصلاة، وعلى المسلم أن يتعلم من كتاب الله وسنة رسوله ما لا يسعه جهله، ومن ذلك ما يلي:

١. نوصي كل مسلم أن يعلم أن الدين الإسلامي هو المنهج الأمثل لسعادة البشر.

٢. نوصي كل مسلم أن يعلم أن الدين الإسلامي كفيل بنشر العدل بين الناس، وأنه ناجع في حل الأزمات والمشكلات العارضة في حياة الناس، في كل زمان ومكان .

٣. نوصي كل مسلم أن يعلم أن الإسلام دين التقدم والرقي، وأنه لا يحرم النظر والبحث في العلوم الكونية، ولا يمنع من تحقيق الأمن والسعادة من خلالها .

٤. نوصي كل مسلم أن يعلم أن الإسلام منهج عبادة، ونظام عمل يدعو إلى التقوى والعلم والمعرفة والابتكار .

٥. نوصي كل مسلم أن يعلم أن الخير فيما أمر به الإسلام، وأن الشر فيما نهى عنه.

﴿ وقل أعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [١] .﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [٢].

المدينة النبوية في ١٤٢١/٨/٤هـ



(١) الآية (١٠٥) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٨٨) من سورة هود .

الفهـــاوس

١ـــ فهرس الآيات

٢ـ فهرس الأحاديث

٣ــ فهرس الأبيات الشعرية

٥ ـ فهرس المصادر

المصدر	المؤلف	الطبعة
١ـ القرآن الكريم		
٢ـ إتحاف السادة المتقين	الزبيدي	مصورة عن الميمنية
٣ـ إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف	ابن حجر	الأولى (١٤١٥)
٤ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان	ابن بلبان	ت الحوت (١٤٠٧)
٥ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الك	أبو السعود	ت عطاء (١٤٠١)
٦ـ الاستعاذة (مصائب الإنسان من مكائد ال	ابن مفلح	(١٤١٩)
٧ـ أنوار التتريل في أسرار التأويل	البيضاوي	م دار الكتب ١٣٣٠
٨ ـ البداية والنهاية	ابن كثير	الأولى (١٤١٦)
٩ـ بصائر ذوي التمييز	الفيروزأبادي	المجلس (١٤٠٦)
١٠ـ تاريخ الثقات	العجلي	الأولى (١٤٠٥)
١١ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف	المزي	الأولى (١٣٨٤)
١٢ـ ترتيب القاموس المحيط	الزواوي	الثالثة
١٣ـ التفسير الكبير	الرازي	؟؟؟؟
١٤ـ تفسير الفاتحة والبقرة	السمعاني	الأولى (١٤١٦)
١٥ ـ التقريب	ابن حجر	الثالثة (١٤١١)
١٦ـ التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد	ابن عبد	(١٣٨٧)
١٧ـ تهذيب إصلاح المنطق	التبريزي	الأولى (١٤٠٣)
١٨ـ الثقات	ابن حبان	الأولى (١٣٩٣)
١٩- جامع البيان في تأويل القرآن	الطبري	م (١٣٩٨)
١٩ـ الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	م عن ط (١٣٧٢)
٢٠ـ حلية الأولياء	أبو نعيم	الثانية (١٣٨٧)

المصدر	المؤلف	الطبعة
٢١ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون	الحلبي	الأولى (١٤٠٦)
٢٢ــ الدر المنثور	السيوطي	دار الفكر (١٤٠٣)
٢٣ــ ديوان جرير	محمد بن حبيب	الثالثة (١٩٨٦م)
٢٤ــ ديوان النابغة	عباس عبد الستار	الأولى (١٤٠٥)
٢٥ــ ديوان رؤبة	وليم بن الورد	الأولى (١٩٧٩م)
٢٦ــ ديوان طرفة بن العبد	فوزي عطوي	(١٩٨٠م)